سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٤)

شرح
أصول الإيمان

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

العنقري

الشيخ لم يراجع التفريغ



شرح
أصول الإيمان

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٤)

شرح
أصول الإيمان

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى



لفضيلة الشيخ الدكتور

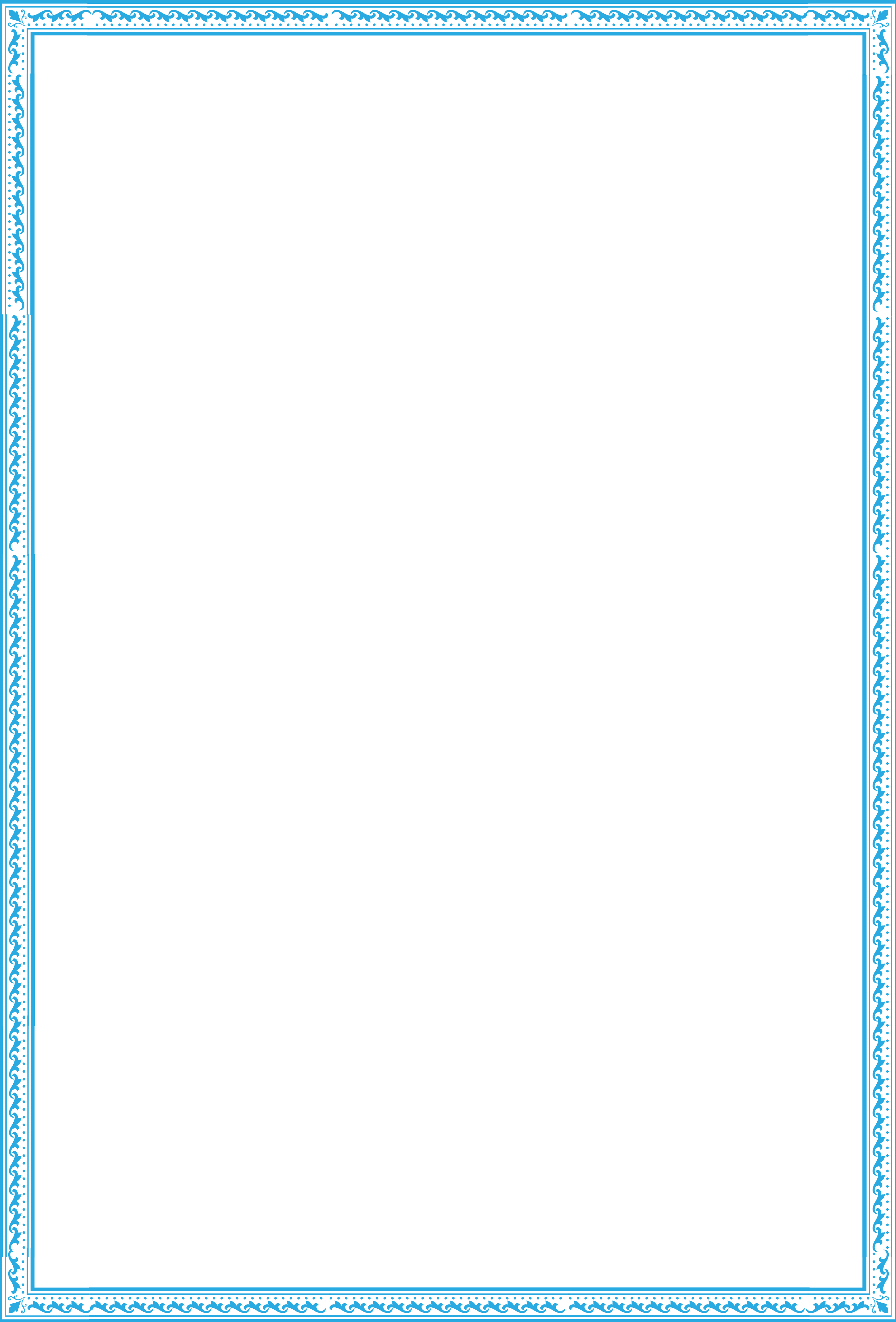
عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



النسخة الأولى








المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فهذا المجلس الأول في شرح الكتاب الخامس من «**برنامج التعليم الميسر**»، والكتاب الخامس هو «**أصول الإيمان**» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، المتوفى سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة، والمقام في مسجد النخيل بمدينة الرياض، مغرب السبت التاسع من جمادى الأولى لعام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري -وفقه الله-.





الشَّرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، وبه أستعين.

باب معرفة الله عَزَّوَجَلَّ والإيمان به.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي في غيري تركته وشركه**» رواه مسلم.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بخمس كلمات فقال: «**إن الله تعالى لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**يمين الله ملئى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّمٰوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض**» أخرجاه

وعن أبي ذر ﷺ قال: رأى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شاتين ينتطحان فقال: «**أتدري فيما ينتطحان يا أبا ذر؟**» قلت: لا، قال: «**لكن الله يدري، وسيحكم بينهما**» رواه أحمد.

وعن أبي هريرةَ ﷺ أَنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النحل] ويضع إبهاميهِ على أذنيهِ والتي تليها على عينيه»

رواه أبو داود وابن حبَّان وابن أبي حاتم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مفاتِيح الغيبِ خمس لا يعلَمها إلا الله: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تَغِيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أَحد إلا الله، ولا تدري نفس بأَيِّ أرضٍ تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله تبارك وتعالى**». رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لله أشد فرحا بتوبةِ عبدِهِ حينَ يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتَتْ منه وعليها طعامه وشرابه فَأَيِسَ منها، فَأَتَى شجرة فاضطجع في ظلِّها وقد أَيسَ من راحلته، فبينما هو كذلك إِذْ هو بها قائِمةٌ عنده فأخذ بِخِطامِها فقال من شدَّةِ الفرح: اللّهمَّ أَنت عبدي وأَنا ربّكَ، أَخطأَ من شدة الفرح**». أخرجاه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله يَبسط يده باللَّيلِ ليتوبَ مسيء النهار، ويبسط يده بالنَّهارِ ليتوبَ مسيء اللَّيلِ؛ حتى تَطْلعَ الشَّمس من مَغرِبها**». رواه مسلم.

ولهما عن عمر رضي الله عنه قال: قدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بِسَبي هوازِنَ؛ فإذا امرأة من السبي تسعى إِذْ وجدت صبيا في السَّبي فأخذته فأَلزقته ببطنِها فأرضعته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَترَونَ هذه المرأَةَ طارِحة ولدها في النَّارِ؟!** قلنا: لا والله! فقال: **لَله أَرحم بعبادِهِ من هذه بولدِها**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما خلق الله الخلْقَ كتبَ في كتابٍ فهو عندَه فوق العرش: إِن رحمتي غَلبَتْ غضبي**». رواه البخاري.

ولهما عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**جعل الله الرَّحمةَ مائةَ جزءٍ، فأَمسك عندَه تسعة وتسعينَ جزءًا وأَنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزءِ تتراحَم الخلائِق حتى تَرفَع الدَّابَّة حافِرها عن ولدها خَشْيةَ أَنْ تصيبَه**».

ولمسلم معناه من حديث سلمان، وفيه: «**كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض**» وفيه: «**فإذا كان يوم القيامة كملها بهذه الرحمة**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الكافِرَ إذا عمِلَ حسنة أطعِمَ بها طعمَة في الدنيا، وأمَّا المؤمِن فإنَّ الله يَدَّخِر له حسناتِهِ في الآخرة ويعقِبه رزقا في الدنيا على طاعتِهِ**» رواه مسلم.

وله عنه مرفوعا: «**إن الله ليرضى عن العبدِ يأكل الأَكْلَةَ فيحمَده عليها، ويشرب الشَّربةَ فيحمَده عليها**».

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أطَّتِ السَّماء وحُقَّ لها أن تئطَّ ما فيها موضِع أَربَعِ أَصابع إلَّا وفيه مَلك ساجد للهِ تعالى، والله لو تعلمونَ ما أَعلم لضحِكْتم قليلا وَلَبكيتم كثيرا وما تلذَّذْتم بالنِّساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدَاتِ تجأَرونَ إلى الله تعالى**». رواه التِّرمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

قوله: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولَبكَيتم كثيرًا**»؛ في الصَّحيحَين من حديث أَنس.

ولمسلمٍ عن جنْدب رضي الله عنه مرفوعًا: «**قالَ رجل: والله لا يَغفِر الله لفلانٌ، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: من ذا الَّذي يَتَأَلَّى عليَّ أَنْ لا أَغفرَ لفلانٍ؟ إني قد غفرت له وأَحبطت عملكَ**».

وله عن أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعًا: «**لو يعلم المؤمِن ما عند الله من العقوبة ما طَمِعَ بجنَّتِهِ أَحد، وَلو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمَةِ ما قَنِطَ من جنَّتِهِ أَحد**».

وللبخاريِّ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الجنَّة أَقرب إلى أَحدِكم من شِراكِ نعلِهِ، والنَّار مِثل ذلك**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**إنَّ امرأة بغيّا رأَت كلبا في يومٍ حار يطِيف ببئرٍ قد أَدلَعَ لِسانَه من العطشِ فنزعت له موقَهَا فَسقَتْه فغفِر لها به**».

وقال: «**دخلت النَّارَ امرأة في هرةٍ حبستها؛ لا هي أَطعمتها، ولا هي أَرسلتها تأْكل من خَشَاشِ الأَرضِ**». قال الزّهري رَحِمَهُ اللَّهُ: لِئلا يتكل أَحد ولا ييأس أَحد. أخرجاه.

وعنه مرفوعًا: «**عَجِبَ ربّنا من قومٍ يقادونَ إلى الجنَّةِ بالسلاسلِ**». رواه أَحمد والبخاري.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وما أَحد أَصبرَ على أذى يسمَعه من الله؛ يدعونَ له الولدَ ثم يعافِيهم ويرزقهم**». رواه البخاري.

وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تباركَ وتعالى إذا أَحب عبدًا نادى: يا جبريل إنّ الله يحِبّ فلانا فأَحبه، فيحِبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماءِ: إن الله يحِب فلانا فأَحِبوه،**

فيحِبه أَهل السماء ويوضع له القَبول في الأَرض».

وعن جرير بن عبد الله البجلي ﵁ قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نظر إِلى القمرِ ليلة البدرِ قال: «إِنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤْيتهِ، فإِن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمسِ وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] رواه الجماعة.

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إِن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليّا فقد آذنْته بالحرب، وما تقرب إِلي عبدي بشيءٍ أحب إِلي من أداءِ ما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إِلي بالنوافِلِ حتى أحبه، فإِذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئِنْ سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن قبضِ نفسِ عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره مَسَاءَتَهُ ولا بُدَّ له منه». رواه البخاري.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزِل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إِلى سماءِ الدنيا حين يبقى ثلث الليلِ الآخِر يقول: من يدعوني فأستجِيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفِرني فأغفر له». متفق عليه.

وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتانِ من ذهب آنيتهما وما فيهِما، وجنتانِ من فضةٍ آنيتهما وما فيهما، وما بين القومِ وبين أن ينظروا إِلى ربِّهم إِلا رداء الكبرياءِ على وجهِهِ في جنةِ عدن». رواه البخاري.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، هذا الكتاب سماه مصنفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بـ«**أصول الإيمان**»، حيث يذكر فيه ما يتعلق بالإيمان بالله، وبالقدر، وبالملائكة عليهم الصلاة والسلام، وأحسن الاستهلال والبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن بدأ بباب معرفة الله عَزَّوَجَلَّ والإيمان به؛ لأن الإيمان بالله هو الأصل وما بعده من أصول الإيمان مبني عليه.

❍ **بما نعرف ربنا؟!**

بما عرّفنا في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

ما الذي يليق بالله فيتصف به، وما الذي لا يليق به عَزَّوَجَلَّ ولا ينبغي أن يتصف به؟!

مردنا إلى كلام الله وكلام رسوله؛ فإذا أخبرنا الله تعالى أنه متصف بوصف من الأوصاف فهو على أكمل ما يكون، وعلى أعظم ما يكون من الكمال، وإذا تنزه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن أمر من الأمور فما ذاك إلا لأنه لا ينبغي له عَزَّوَجَلَّ كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»؛ فنعرف ربنا بما بيَّن في كتابه وبما بيَّن المرسل من عند الله عَزَّوَجَلَّ وهو رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى؛ وبذلك نعرف ربنا بما عرّف نفسه به في كتابه وفي سنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ذكر في هذا الباب عددًا كثيرًا من النصوص الدالة على تعرف العبد على ربه من خلال هذه النصوص.

❍ **الحديث الأول:** حديث قدسي، أي أن الله تعالى قاله سبحانه، وبلغه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، الصحيح في الحديث القدسي أنه بلفظه ومعناه من عند الله عَزَّوَجَلَّ، على خلاف الشائع أن لفظه من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومعناه من عند الله، بل الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله تعالى، كما حقق هذا شيخ الإسلام ابن القيم والشيخ عبد العزيز بن باز -رحمهما الله-، وأمثالهم ممن دققوا في المسألة.

المسألة أن ألفاظ الأحاديث القدسية فيها ما لا يمكن أن يقوله إلا الله، مثل: «**أنا أغْنى الشركاءِ عن الشِّركِ**»، هذا لا يقوله إلا الله، لا يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**أنا أغْنى الشركاءِ**»؛ إنما ينقل هذا الكلام مما جاء به جبريل عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ فالقرآن كلام الله بلفظه ومعناه، والحديث القدسي كلام الله بلفظه ومعناه؛ ولهذا يقول تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين**» ما يمكن أن يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أعددت لعبادي، هذا كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ فالصحيح من ذلك.

۞ **قال المؤلف: «يقول تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك».**

الله تعالى غني عن العالمين كلهم، ولا يرضى من العمل إلا ما كان خالصًا، وأُفرد به وحده تعالى؛ فإذا جعل العمل لله ولغيره؛ فإن الله تعالى يترك هذا العمل ويرده على صاحبه؛ لهذا قال: «**من عمل عملًا أشرك فيه معي في غيري تركته وشركه**»؛ فإذا عمل لله تعالى عملًا وقصد بهذا العمل مع الله غير الله؛ فإن الله يرد العمل كله على صاحبه؛ لأن الله تعالى غني عن العامل وعن عمله، فهو أغنى الشركاء عن الشرك فيرد العمل على صاحبه، ويتركه ولا يثيبه ويكون هذا العمل وبالًا على صاحبه.

ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنَّ الله تعالى لا ينام**» هذا الحديث عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**إنَّ الله تعالى لا ينام، ولا ينبَغِي له أنْ ينامَ**» في الحديث هذا نفي النوم عن الله وهذا معلوم معروف من كتاب الله، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] والله يستحيل أن ينام؛ لأن النوم منافٍ لقيومية الله تعالى.

كل ما في الكون من حركة وتسكينة وذهاب وإياب حتى أنفاسنا هذه وحتى ما تطرف به أعيننا، وحتى كل أمر نحن فيه بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف ينام الله عن خلقه، وهو الذي يصرف السَّمٰوات والأرض، فالله تعالى لا ينام.

۞ **قال المؤلف: «ولا ينبَغِي له أنْ ينامَ».**

وهذا فيه فائدة كبيرة لطالب العلم، أن المنفي من الصفات عن الله لا يؤخذ من الناس وإنما يؤخذ من النصوص، فالنص الأول: «**إن الله لا ينام**» وهذا واضح؛ لكن قال: «**ولا ينبغي به**» علمنا أن لا يليق بالله تبينه النصوص، فنفى الله عن نفسه النوم والتعب والسنة -وهي النعاس الخفيف-، والظلم، ونفى عن نفسه الغفلة، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ [البقرة: ٧٤]، فالأمور التي تنفى عن الله تؤخذ من النصوص، كما أن الشيء المنفي عن الله تعالى يؤخذ من النصوص كما أن المثبت لله يثبت من النصوص، فكما أننا نقول إن الله يسمع ويبصر ويعلم؛ لأن النصوص دلت على ذلك فنقول: (**من أراد أن ينفي عن الله تعالى شيئًا فليأت به من النصوص**)؛ لأن معرفة العبد أن هذا لا ينبغي لله لا يمكن أن يكون مستقلًا، إنما من خلال النصوص؛ ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولا ينبغي له أن ينام**».

۞ **عندنا شيئان:**

- **الشيء الأول:** نفي النوم.
- **الشيء الثاني:** بيان أن هذا النوم لا ينبغي، وهكذا الصفات المنفية التي لا تنبغي لله نأخذها من النصوص لا من أهواء الناس.

۞ **قال المؤلف: «يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه** -أي هذا الحجاب النور- **لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».**

وبصره سبحانه لا يعزب عنه شيء من خلقه؛ فلهذا لما أراد موسى أن يرى الله قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فعلم موسى أنه يستحيل أن يثبت أمام نور الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الجبال لم تثبت، والجبل أعظم من موسى، وإنما يرى المؤمنون في الجنة؛ لأن الدار الآخرة ينشأهم الله تعالى فيها نشأة أخرى، فيرون الله تعالى وهو أعظم لذة في الجنة؛ ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح في مسلم: «**واعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت**»؛ فلا يمكن أن يرى الله في الدنيا بتاتًا، ولا يتحمل المخلوق أن يرى الله، أما في الدار الآخرة فالله ينشأ الخلق نشأة أخرى فيكون لأهل الجنة ذاك النعيم العظيم فيتحملون أن يروا الله تعالى بأبصارهم -نسأل الله الكريم من فضله-، وهو أعظم لذائذ أهل الإيمان؛ لهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسألك لذة النظر إلى وجهك**» أما في الدنيا فيستحيل أن يرى أحد رب العالمين تعالى.

❍ **الحديث الثاني**: فيه إثبات اليمين لله عَزَّوَجَلَّ وأن الله تعالى تثبت له اليد، بل يدان كما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] هذه اليد نثبتها لله على ما يليق بالله لا تشبه يد المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى] وهكذا يده ليست كيد المخلوق، وجهه ليس كوجه المخلوق، سمعه ليس كسمع المخلوق؛ لأن عندنا قاعدة: (**أن الله ليس كمثله شيء**)؛ ولهذا هذه الآية فيها ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ بعد ذلك تثبت ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وهكذا استواؤه ونزوله إلى السماء الدنيا، وكل ليلة عندما يبقى ثلث الليل الآخر، ومجيئه في القيامة لفصل القضاء، كل هذا يثبت لله تعالى، ولا يشبه بأوصاف المخلوقين، وإنما يثبت لله على ما يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، وأخبر أن يد الله تعالى ملئى لا تغيضها النفقة، النفقة لا تنقص النفقة؛ لأن رب العالمين أمره ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس] وبيده ملكوت السَّمٰوات والأرض، وملكه سبحانه لا يفني ولا يبيد؛ فلهذا يده سحاء تصب صبًا -نسال الله الكريم من فضله-، الليل والنهار.

ولهذا على العبد أن يتعرض للكريم المنان بأن يصلح دينه ودنياه وأخراه وذريته وقلبه وأمته؛ لأن عطاء الله واسع، فيده تعالى سحاء بالليل والنهار.

❁ **قال المؤلف:** «**قال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّمٰوات والأرض**» -على كثرة ما أنفق سبحانه وبحمده-« **فإنه لم يغض**» -أي لم ينقص-، «**ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض**» الله تعالى هو الذي يرفع أقوامًا ويخفض آخرين.

رأى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاتين تنتطحان، تنطح واحدة منهما الأخرى، فقال لأبي ذر سؤالًا -أبو ذر معلوم أنه لا يعرفه- «**يا أبا ذر أتدري فيما ينتطحان؟**» ما الأمر الذي تنتطح عليه هاتان الشاتان؟ قال: لا، قال: «**لكن الله يدري**» حتى بتفاصيل هذه الأمور التي بين البهائم، «**وسيحكم بينهما**» هذا في القيامة، فإذا كان هذا في البهائم فكيف بالبشر، مع أن البهائم عجماء، لكن ما يقع بينها فسيقضي الله تعالى فيه في القيامة، فكيف بالبشر وما يقع بينهم من مظالم.

❁ **قال المؤلف:** «**عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النحل: ٥٨]**».

فيبين أن السمع على حقيقته، وأن البصر على حقيقته.

❁ **قال المؤلف:** «**جعل إبهامَيه على أذنيه والتي تليهَا على عينيه**».

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تحقيقًا للصفة أن لله عينًا، ولله تعالى البصر حقًا، كما قال: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾.

ثم جاء المصنف ببعض الأحاديث الدالة على علم الله عَزَّ وَجَلَّ الذي لا يعزب عنه شيء في السَّمٰوات ولا في الأرض.

❁ **قال المؤلف:** «**مفاتِيح الغيبِ خمس لا يعلَمها إلا الله**».

الغيب الذي استأثر الله تعالى به منه كثير جدًا لا يعلم به أحد بتاتًا، من الغيب أمور لا يمكن أن يحيط بها أحد إلا الله تعالى؛ فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

❁ **قال المؤلف:** «**مفاتح الغيب خمس**».

وهي التي قال الله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ما مفاتح الغيب هذه؟!

❁ **قال المؤلف: «لا يعلم ما في غدٍ إلا الله».**

نحن نصبح على الغد لا ندري ما الذي سنكون عليه، وما الذي سنكسب، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [فاطر: ٣٤] ما يدري البشر على أي شيء يحيطون؛ ولهذا الإنسان يعوذ بالله من فجاءة نقمته؛ لأن النقمة نعوذ بالله قد تفجأ الناس من غدهم وهم لا يشعرون، وهكذا التحويل من البأساء والضراء إلى النعماء قد يفجأ الناس وهم لا يشعرون.

ولهذا يسأل المسلم ربه تعالى العفو والعافية، وأن يجعل الحياة زيادة له في كل خير، والموت راحة له من كل شر، كثير من الناس أصبحوا على حال هو أسوأ حال، قال تعالى في قوم لوط: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣] أشرقت عليهم الشمس فصاح بهم الملك ثم قلبت عليهم -عياذًا بالله- بلدهم، ثم دخلوا في عذاب الله تعالى إلى ساعتك هذه وإلى قيامتهم، وإلى النار وبئس المصير، أصبحوا تلك الصبيحة على هذا، وهكذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أخذه بقوم آخرين مصبحين في الصباح، فلا يدري العبد ما الذي يصبح عليه.

- **ولهذا طول العمر لا يدعى به الإنسان؛** إنما يسأل العبد ربه أن يجعل الحياة زيادة له في كل خير؛ لأنه ما يدري ما الذي يكون له من طول العمر فاسأل الله تعالى أن تكون الحياة زيادة له من كل خير، والموت راحة له من كل شر.

❁ **قال المؤلف: «ولا يعلم ما تَغِيض الأرحام إلا الله».**

الذي في الأرحام على سبيل القطع واليقين ذكر أنثى، شقي سعيد، يعيش أو لا يعيش، هذا لا يحيط به إلا الله، وأما الاكتشاف من خلال الأشعة فهذا ليس من الاطلاع على الغيب، بل هذا نوع تصوير، وكيف يعرفون أنه ذكر أو أنثى؟ بوسيلة يسيرة جدًا وهي أن يسلطوا الأشعة على موضع الفرج فإن كان ذكرًا تبين أنه ذكر، وإن كانت أنثى تبين أنها أنثى، وفي بعض الأحيان يعييهم هذا ويتعبون يجلسون مددًا ثم يقول للمرأة راجعي لاحقًا ما استطعنا، لِمَ؟ لأن هذا الجنين قد ضم ما بين فخذيه يحاولون أن يصوروا فلا يستطيعوا، هذه حيلة الإنسان، الإنسان لا يطلع على ما في الغيب، يكون هذه المرأة فيها ذكر يستحيل؛ لكن كونه يصور كأنه شق البطن واطلع عليها، ومع ذلك في بعض الأحيان يعجز، يعجزون

ويمكثون نحو الساعة يحاولون أن يقلبوا المرأة يحاولون أن يتحرك فيكون بإذن الله -وهذا من آيات الله- يكون الجنين قد أطبق فخذيه؛ فلا يدرون لأنه لما أطبق فخذيه اختفى فرجه، هذه حيلة الإنسان.

ولهذا في أحيان غير قليلة يتوقعون أنه أنثى فيكون ذكر، ويتوقعون أنه ذكر فتكون أنثى؛ لأن علمهم ليس مقطوعًا به، إنما هو على سبيل التصوير لما في الرحم، فإن أراد الله تعالى أن يطلعوا عليه بهذه الصورة كأنما بقروا بطن المرأة، ومع ذلك كما قلنا قد يعجزون عن أن يصلوا إليه ويطلب من المرأة أن تراجع مراجعة أخرى؛ لأن الذي يكشف عن الجنين يقول: عجزنا تعبنا أخذنا ساعة، هذا الصغير مطبق فخذيه؛ لأن هذه حيلة الإنسان لا يستطيع أن يطلع على الغيب وإنما تكون وسائل مثل هذه مثل التصوير ونحوها.

قال المؤلف: «ولا تدري نفس بأَيِّ أرضٍ تموت».

الإنسان ما يدري أين يموت، هو من بلد من البلدان لا يدري هل يموت في بلده أو في بلد آخر، ومن عجيب ولطيف قدر الله تعالى قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة**» يكون الإنسان أنا سآخذ عمرة؛ لأن الله تعالى كتب أن يموت في مكة وهو من أهل الرياض مثلاً، أو يأتي إنسان ويأخذ عقد عمل ويتعب فيه ربما استدان وتعب حتى حصل له العقد وسافر سفرة إلى بلد ليعمل؛ لأن الله كتب أن يموت في هذا البلد، فلا يدي الإنسان بأي أرض تموت.

قال المؤلف: «ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ﷻ».

ثم ذكر أن الله تعالى من صفاته الفرح.

قال المؤلف: «لله أشد فرحا بتوبةِ عبدِهِ حينَ يتوب إليه من أحدكم».

الحديث في إثبات الفرح، وأن فرح الله تعالى على ما يليق به، وليس فرح الله كفرح المخلوق، أنت تفرح لأني وأنت محتاجان إلى ما نفرح، أما الله تعالى ففرحه ليس فرح المحتاج؛ ولهذا يفرح الرب بتوبة عبده مع أن الله لا ينتفع بطاعة المطيع ولا بمعصية العاصي؛ لكن الله يحب التوبة، وهذا في تحريض للعاصي على التوبة؛ لأنه إذا تاب فرح الله تعالى بتوبته، وذكر أن فرحة الله تعالى بتوبة العبد أشد من فرحة عبد كان في برية، وكان معه هذه الناقة عليها متاعه وعليها طعامه فانفلتت منه، وبقي في البرية هكذا فذهب

في البرية لينام تحت شجرة فيموت تحتها، فبينا هو كذلك وإذا الله تعالى قد ساق له ناقته هذه ووقفت عليه دون أن يتعنّى في جلبها فقال من شدة الفرحة يريد أن يشكر الله هذا المسكين الضعيف قال: «اللَّهمَّ أنت عبدي وأنا ربك»، أراد أن يقول اللَّهمَّ أنت ربي من فرحته فأخطأ زل لسانه؛ ولهذا لو قال الإنسان قولًا من الكفر خطأً؛ فإنه لا يؤاخذ، لو أن إنسان قال نعوذ بالله من الجنة ونسأله النار لا يقال الويل لك، لأ؛ لأن هذه الأمور يعلم الله ضعف العباد فيها، لأن الإنسان قد يقول اللَّهمَّ إني أسألك الجنة فتزل منه الكلمة فيقول أسألك النار، هذا لا يضره يقول أنا دعوت على نفسي أخشى أن الدعوة قبلت، الله أرحم من ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فزلت اللسان كما قال تعالى في بيان ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥] أما الزلة هذه فإن الرب تعالى يعفو عنها.

وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان إثبات اليد لله على ما يليق به.

❁ **قال المؤلف: «إن الله يَبسط يده».**

في إثبات اليد وأن الله يبسطها.

❁ **قال المؤلف: «إن الله يبسط يده باللَّيلِ ليتوبَ مسيء النهار».**

وهذا من فضله ومنته، أخطأت في الليل الله تعالى يفتح لك التوبة دائمًا «**فيبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنَّهارِ ليتوبَ مسيء اللَّيلِ**» فلا يقال انتظر حتى يأتيك الحج، أو انتظر حتى يأتي رمضان، لا، تُب مباشرة والله تعالى يقبل التوبة.

ذكر قصة المرأة التي كانت بِسَبِي هوازِنَ؛ فلما وجدت صبيًا لها ألصقته ببطنها وألقمته ثديها فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أترونَ هذه المرأةَ طارِحة ولدها في النَّارِ؟!**» قالوا: لا والله! فقال: «**لَله أَرحم بعبادِهِ من هذه بولدِها**».

من فضله ومنته أن الله تعالى أرحم بك من أمك الشفيقة؛ ولهذا يدعوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى التوبة والأوبة ويعطيك الآيات والدلائل ويصيبك بمصائب لتراجع، ويطيل في عمرك لعلك أن تتوب وتسمع خطبة، وتسمع موعظة، وتسمع كلمة ويتهيأ لك أمور علك أن تتوب، فيحلم عنك ويراك وأنت تعصي،

فلا يخسف بك أرضًا ولا يسقط عليك نجمًا، ويرحمك ويحلم عليك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتى تتوب؛ لأنه أرحم بك من أمك التي ولدتك، حتى إذا أصر الإنسان إصرار الهالكين أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

۞ **قال المؤلف: «إن الله لما خلق الخلْقَ كتبَ في كتابٍ فهو عندَه فوق العرش».**

فيه إثبات العرش وأن الله تعالى في العلو.

۞ **قال المؤلف: «إِن رحمتي غَلبَتْ غضبي».**

إن رحمة الله تعالى أعظم وتسبق غضبه وهذا من فضله.

۞ **قال المؤلف: «جعل الله الرَّحمةَ مائةَ جزءٍ، فأَمسك عندَه تسعة وتسعينَ جزءا وأَنزل في الأرض جزءًا».**

فإذا كانت القيامة كملها بهذه الرحمة، وهذا من عظيم وجليل فضله سبحانه.

ثم أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عدل الله العظيم أن الكافر إذا عمل حسنة مثل ماذا؟ مثل لو أطعم جائعًا، أو كسا عاريًا، أو أشفق على يتيم وأعطاه مالًا هذا يعد عملًا صالحًا فحتى وهو كافر فإن الله لا يضيع هذا العمل، لكن أين يجازيه؟ يجازيه في الدنيا: «**إِنَّ الكافِرَ إذا عمِلَ حسنة أطعِمَ بها طُعمَة في الدنيا، وأمَّا المؤْمِن**» فمن فضل الله تعالى يعطيه الأمرين «**يَدَّخِر له حسناتِهِ في الآخرة ويعقِبه رزقا في الدنيا على طاعتِهِ**» أما الكافر إذا ورد القيامة فإنه يكون قد أطعم بما أحسن في الدنيا طعمته، ولا يجد في القيامة أي عمل له؛ لأن الله يقول: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

في الحديث بعده أن الله يرضى، وهذا فيه إثبات أن الله يوصف بالرضا.

۞ **قال المؤلف: «قال: إِن الله ليرضى عن العبدِ يأْكل الأَكْلَةَ فيحمَده عليها، ويشرب الشَّربةَ فيحمَده عليها».**

يرضى الله عَزَّوَجَلَّ رضا، مع أن الأكلة نعمته، والشربة نعمته، وأوصلها إليك وهيأها لك فإذا حمدت الله رضي عليك، وهذا من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجليل منته.

في الحديث بعده قال:

۞ **قال المؤلف:** «قال: أطت السماء».

الأطيط: هو صوت الأقتاب التي تكون على البعير.

۞ **قال المؤلف:** «قال: أطَّتِ السَّماء وحقَّ لها أن تئطَّ ما فيها موضِع أَربَعِ أَصابع إلَّا وفيه مَلك ساجد للهِ تعالى».

الملائكة لا يحيط بعددهم إلى الله قد ملئوا السَّمٰوات.

۞ **قال المؤلف:** «قال: والله لو تعلمونَ ما أَعلم».

أي: علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بربه أعظم من علم غيره.

۞ **قال المؤلف:** «قال: والله لو تعلمون ما أعلم لضحِكْتم قليلا وَلَبكيتم كثيرا».

لو علمنا الأمر على حقيقته وما أمامنا من الأهوال والأمور العظام الصعاب؛ لقل ضحكنا وكثر بكاؤنا وأقبلنا على معاتبة أنفسنا.

۞ **قال المؤلف:** «قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «قالَ رجل: والله لا يَغفِر الله لفلانٌ».

هذا رجل عنده صلاح وخير، وآخر عنده معصية وتمادي في المعاصي، فهذا الرجل الذي عنده صلاح لما رأى كثرة إقدام هذا على المعصية قال: والله لا يغفر الله له ولا يدخله الجنة، هذا تدخل في أمر يتعلق بالله عَزَّ وَجَلَّ، «**قال الله** عَزَّ وَجَلَّ: **من ذا الَّذي يَتَأَلَّى علي أَنْ لا أَغفرَ لفلانٍ؟**» تدخّل هذا العبد الضعيف المسكين في أمر يتعلق بالله عَزَّ وَجَلَّ مغفرة ورحمة وعقوبة ونحوها، «**إني قد غفرت له وأَحبطت عملكَ**» فأحبط عمل المطيع الذي كأنه اغتر بعمله، وذاك العاصي قد غفر الله تعالى له، فلهذا لا يتدخل في موازين جبار السَّمٰوات والأرض، إذا مات إنسان على معصية ما نقول من أهل النار وهو مسلم، نقول نخاف عليه -ونسأل الله له العفو-، لكن يقال في النار -عياذًا بالله- ما نقول في النار، لكننا نخاف عليه؛ لأن المعاصي ضارة، وإذا مات إنسان من أهل الصلاح والعلم والخير والديانة، نقول في الجنة؟ لا والله ما نقول في الجنة لكن نقول: نرجو له الجنة، ما نجزم على الله إلا من ثبت بالنصوص أنه من أهل الجنة، كالعشرة المبشرين، وأمثالهم ممن ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من أهل الجنة، وهكذا أهل النار من علمنا يقينًا أنه من أهل النار كأبي لهب كما بيَّن الله ذلك في كتابه، وكأبي جهل وصناديد الكفر الذين ماتوا

على الكفر وعلمنا أنهم من أهل النار، أما ما سواهم فيكون أمرهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولا نجزم أن فلانًا هذا من أهل النار إلا إذا دلت النصوص على أنه من أهل النار.

قال المؤلف: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طَمِعَ بجنَّتِهِ أَحد».

من شدة بطش الله وغضبه وشديد أخذه لو يعلم المؤمن ما عند الله من شدة هذه العقوبة ما طمع بالرحمة، وفي المقابل: «**وَلو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمَةِ**» الواسعة العظيمة التي وسعت السماء ووسعت كل شيء لو يعلم «**ما قَنِطَ من جنَّتِهِ أَحد**» فالله عظيم الرحمة، ولكنه أيضًا عظيم العقوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة].

في الحديث بعده أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الجنَّة أَقرب إلى أَحدِكم من شِراكِ نعلِهِ، والنَّار مِثل ذلك**» هذا يوجب الخوف من النار، والحرص على أسباب دخول الجنة، فإن الإنسان قد يدخل الجنة بكلمة يقولها، وقد يدخل النار بكلمة يقولها، وهذا يوجب الحذر، وكثرة الإقبال على محاسبة النفس، والإنسان يحرص على ضبط لسانه؛ فإن الإنسان مثل صاحب الكلمة: والله لا يغفر الله لفلان فأحبط الله عمله وعاقبه، فيحرص الإنسان على أسباب دخول الجنة، الجنة لها أسباب بعد فضل الله ورحمته ومنها الأعمال، والكف عن السيئات، والتوبة إلى الله، والنار لها أسباب، ومنها: ترك الصلوات، ومجانبة الواجبات وعدم أدائها، والإقبال على المحرمات فهذه طرق توصل على النار، يحرص المسلم إلى أن يجتنب الطريق الموصل إلى النار، ويحرص على أن يسلك طريق الجنة.

أخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بامرأة بغي -وهي الزانية-: «**رأَت كلبا في يومٍ حار يطِيف ببئرٍ**» يريد ماءًا فهذه رحمت هذا الكلب «**قد أَدلَعَ لِسانَه من العطشِ فنزعت له موقَهَا فَسقَت**» هذا الكلب من الماء «**فغفِر لها به**» مع أنها بغي. امرأة أخرى دخلت النار في هرة -قطة-، حسبتها لا هي أطعمتها حين حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض الموجود في أرض الله تعالى، فأدخلها ا لله النار، يقول الزّهري رَحِمَهُٱللَّهُ -لما روى الحديثين-: لِئلا يتكل أَحد ولا ييأس أَحد، أي: حتى يحذر الإنسان فقد يغفر الله للعبد على ذنوب عنده، وقد يتسبب إيذاء حتى البهيمة في دخول النار، إذًا إيذاء المسلمين ماذا قد يفعل، إذا كانت المرأة هذه دخلت النار بسبب هرة فما بالك بمن يؤذي المسلمين من جيرانه وإخوانه من باب أولى عليه أن يحذر ويخاف.

❁ **قال المؤلف:** «عَجِبَ ربّنا من قومٍ يقادونَ إِلى الجنَّةِ بالسلاسلِ».

فيه إثبات صفة العجب لله تعالى، وهؤلاء قوم القوم الذين يقادون إلى الجنة بالسلاسل كانوا كفارًا فاسروا فجيء بهم في السلاسل؛ فلما أسروا واقتربوا من الإسلام هداهم الله فأسلموا فكان سبب إسلامهم أنهم أسروا، ولو أنهم لم يأسروا لكان في كفرهم فيعجب الله من ذلك أنهم أسروا فكان أسرهم سببًا في دخلوهم الجنة.

❁ **قال المؤلف:** «وما أَحد أَصبرَ على أذى يسمَعه من الله تعالى».

يقول العباد أشياء كثيرة لا تليق، تقول النصارى اليهود الملاحدة الكفار الفجار الروافض يقولون كلامًا عظيمًا عن رب العالمين، ومع ذلك يصبر تعالى صبرًا كما يليق بجلاله وعظمته يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يدعونَ له الولدَ ثم يعافِيهم ويرزقهم**» نلاحظ؛ قد عافا الله أجسامهم وأمدهم بالأكل والشرب، حتى النفس أنت في حاجة يا ابن آدم إلى النفس يعطيهم الله تعالى ويحلم عليهم مع أنهم على هذا الحال من السوء.

❁ **قال المؤلف:** «إن الله تباركَ وتعالى إذا أَحب عبدا نادى: يا جبريل».

فيه إثبات المحبة لله، وأن الله إذا أحب أحدًا من عباده نادى، ففيه إثبات النداء لله تعالى، «**إنّ الله يحِبّ فلانا فأَحبه، فيحِبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماءِ: إِن الله يحِب فلانا فأَحِبوه، فيحِبه أَهل السماء ويوضع له القَبول في الأَرض**».

ثم الحديث بعده فيه إثبات أن المؤمنين يرون ربهم تعالى رؤية حقيقة في الجنة وهي أعظم لذات أهل الجنة.

❁ **قال المؤلف:** «إِنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤْيتِهِ»، **ثم قال:** «فإِن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمسِ وقبل غروبها فافعلوا».

ما هم هاتان الصلاتان؟!

صلاة العصر، وصلاة الفجر؛ فدل على أن صلاة العصر وصلاة الفجر والحفاظ عليهما من أسباب رؤية الله تعالى في الجنة.

۞ **قال المؤلف:** «إِن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليّا».

من هو الولي؟!

ولي الله بينه الله في كتابه ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس] فالمؤمن المتقي هو ولي الله عَزَّوَجَلَّ، فأمن واتقي الله تكن من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **قال المؤلف:** «من عادى لي وليًا فقد آذنْته».

أي: أعلمته.

۞ **قال المؤلف:** «بالحرب».

فإن الله تعالى يتولى حربه.

۞ **قال المؤلف:** «وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي من مما افترضته عليه».

أعظم ما يحبه الله أن تتقرب بالفرائض، مثل الصلوات الخمس، هذه أعظم ما تتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله تعالى فرضها لأنها محبوبة عنده تعالى.

۞ **قال المؤلف:** «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافِلِ حتى أحبه».

مثل قيام الليل، مثل صلاة الضحى، مثل صيام ثلاثة أيام من كل شهر، يتقرب العبد إلى الله مع أنها ليست واجبة نوافل، فإذا استمر يتقرب، يتقرب، أحبه الله تعالى.

۞ **قال المؤلف:** «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطِش بها، ورجله التي يمشي بها».

أي: أن الله تعالى يوفقه في سمعه وبصره ويده ورجله وفي أموره أن يوفق توفيقًا لذلك قال:

۞ **قال المؤلف:** «ولئِنْ سألني لأعطينه».

إذا دعا وسأل الله أعطاه.

❁ **قال المؤلف:** «ولئن استعاذني».

أي: تعوذ بالله.

❁ **قال المؤلف:** «لأعيذنه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن قبضِ نفسِ عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره مَسَاءَتَهُ ولا بُدَّ له منه».

أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم أن هذا المؤمن، من طبع الإنسان أنه ما يحب الموت، لكن لا بُدَّ له من الموت، ولهذا لأن الله تعالى قد أحب هذا العبد قال: «**وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن قبضِ نفسِ عبدي المؤمن**».

ثم أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث هذا أن الله تعالى ينزل نزولًا يليق بجلاله وعظمته لا تضرب له الأمثال، ولا تورد عليه الإرادات ينزل كما يليق بجلاله وعظمته.

❁ **قال المؤلف:** «ينزِل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إِلى سماءِ الدنيا حين يبقى ثلث الليلِ الآخِر».

في آخر الليل.

لهذا يا أخوة انتبهوا!!

في آخر الليل، إياكم أن تكونوا في آخر الليل من أهل العبث والضحك والنظر إلى ما حرم الله، وإن كان هذا واجبًا في جميع الأوقات، الكف عما حرم الله، لكن حين ينزل رب العالمين إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر.

❁ **قال المؤلف:** «يقول: من يدعوني فأستجِيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفِرني فأغفر له».

احرص على أن يكون لك نصيب من هذا الوقت ولو ربع ساعة، إياك أن تنام، وليس معنى ذلك أنك تأثم، لا ما تأثم؛ لكن والله إنها فرصة ولو علم الناس أن الملك -ولله عَزَّوَجَلَّ المثل الأعلى- سيكون في موضع من المواضع وكل من يقدم له طلبًا فإنه سيحققه والله لتجد الناس بالآلاف والملايين، والملك عبد من عباد الله مثلك، لن يصلك شيء منه إلا إذا سخره الله لك، فأنت وهو جميعًا عبيد لله عَزَّوَجَلَّ، ملك الملوك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، احرص على هذا الوقت ثلث الليل الآخر ليكن لك منه ولو ربع ساعة، لا تكن من العطالين الباطلين أهل النوم.

احرص على أن تدعوا الله لنفسك، لذريتك، لأمتك أناس فيهم أمراض أناس عليهم ديون، أناس عليهم هموم وينامون، قوموا لله عَزَّوَجَلَّ يقول: «من يسألني فأعطيه»؛ فابذل السبب.

وليحرص المسلم على الليل، الليل شأنه عظيم، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره الحديث بعد العشاء، مجرد الحديث المباح، وينام من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينام بعد العشاء؛ فإذا لم يكن منَّا حديث صالح وحسن وعلم فلا يكن منا حديث باطل ونظر إلى ما حرم الله من صور النساء في الشاشات واستماع الأغاني، لنتقي الله تعالى في أنفسنا بعد العشاء وفي سائر الأوقات، لكن بعد العشاء له مقام آخر، وشأن أعظم؛ لأن بعد العشاء يتعبد المؤمن بصلاة الليل إلى الفجر، كل هذا وقت تصلي الساعة التاسعة من قيام الليل، العاشرة من قيام الليل إلى أن يخرج الفجر، فعلى العبد أن يستغل هذه الساعة العظيمة، ويحرص على أن يدعو ربه ويرفع إلى رب العالمين شكايته، وأن يستغني بربه عن سائر خلقه، وأن يرفع إليه تعالى حاجته.

الحديث الأخير أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

۞ قال المؤلف: «جنتانِ من ذهب آنيتهما وما فيهِما».

هذا نوع من الجنات -نسأل الله الكريم من فضله- أن كلها من ذهب الأواني وما فيها.

۞ قال المؤلف: «وجنتانِ من فضةٍ».

وهما دون الجنتين الأخريين.

۞ قال المؤلف: «آنيتهما وما فيهِما، وما بين القومِ وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداء الكبرياءِ على وجهِهِ في جنةِ عدن».

هذا فيه إثبات أن المؤمنين يرون ربهم، جعلنا الله وإياكم ووالدينا وذرارينا منهم.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ].

عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: حدّثني رجل من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الأنصارِ أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذ رمي بنجمٍ فاستنار فقال: «**ما كنتم تقولون إذا رمي بمثلِ هذا؟**». قالوا: كنا نقول: ولِد الليلة عظيم أو مات عظيم. فقال: «**إنها لم ترم لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا** عَزَّ وَجَلَّ **إذا قضى أمرا سبحت حملة العرشِ؛ حتى يسبح أهل السماءِ الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل السماءِ الدنيا، فيقول الذين يلون حملة العرشِ: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، فيستخبر أهل السَّمٰوات بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر أهل السماءِ الدنيا فتخْطف الجِن السمع فيلقونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهِهِ فهو الحق ولكنهم يقْرِفون ويزيدون**» رواه مسلم والترمذي والنّسائي.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السَّمٰوات منه رجفة شديدة خوفًا من الله** عَزَّ وَجَلَّ**، فإذا سمع ذلك أهل السَّمٰوات صعقوا، أو قال: خروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ**، فيكلِّمه الله من وحيِهِ بما أراد، ثم يمر جِبرائيل على الملائكةِ كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتها: ماذا قال ربّنا يا جبرائيل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلّهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله** عَزَّ وَجَلَّ». رواه ابن جرير وابن خزيمة والطّبراني وابن أبي حاتم واللفظ له».

هذا الباب أخذه على قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ].

في هذا الباب فائدة تفسير الآية بالحديث؛ فإن الآية قد يقرأها القارئ ولا يدري من الذين قالوا، حتى إذا فزع عن قلوبهم من هم؟!

فبيَّن الحديث المراد بالآية، وهذا من فائدة معرفة النصوص الواردة وتفسير بعضها ببعض، سواء أكانت نصوص القرآن بالقرآن، أو كانت نصوص السنة تفسر بالسنة أو تفسر بها أيضًا آيات القرآن، المقصود بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: عن قلوب الملائكة، ومعنى قوله: «**فزع**» أي: زال الفزع، إذا زال الفزع عن قلوبهم، فدل على وجود فزع يصيبهم.

❍ ما هذا الفزع؟ وما سببه؟!

بينه الحديث.

في هذا الحديث أن:

۞ قال المؤلف: « عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حدّثني رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنصارِ».

لم لَمْ يقل اسمه؟ لأن جهالة الصحابي لا تضر، جميع الصحابة عدول، ولهذا قد يبوب أو في المسانيد باب حديث رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا علمنا وتيقنا أن من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلسنا بحاجة إلى البحث عن عدالته؛ لأن الله تعالى قد عدّله وزكاه وتلك أعظم من تزكية كل أحد بعد ذلك، فإذا علمنا وتيقنا أنه صحابي بخلاف ما إذا قال التابعي مثلًا حدثني رجل من الأنصار.

كلمة الأنصار قد تطلق حتى على التابعين، باعتبار أنهم من أبناء الأنصار، فإذا قال حدثني رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تيقنا أنه ممن ثبتت عدالته، ثم قال من الأنصار بيانًا لكون هذا الصحابي أنصاريًا وليس بمهاجري.

۞ قال المؤلف: «أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فيه أن الجلوس في الليل في العلم وفي الخير لا إشكال فيه، وكان من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يكره الحديث بعد العشاء، ويكره النوم قبلها، لكن كما قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: باب السمر في طلب العلم، وذكر حديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما صلى مرة قال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو ظهرها اليوم أحد**» فالأصل أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان ينام صلوات الله وسلامه عليه

بعد العشاء؛ لأنه الساعة عند انتصاف الليل كان يصلي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك يقتضي أن ينام الإنسان مبكرًا، وهو المشروع كما تم التنبيه عليه.

فينبغي الحرص على التبكير في النوم ويكون للإنسان نصيب من الليل، وأن لا يتسبب السهر أيضًا في فوات صلاة الفجر وتلك مصيبة أعظم؛ فهذا هو المشروع.

❁ **قال المؤلف: «بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذ رمي بنجمٍ فاستنار».**

أي: أنه رمي بهذا النجم من النجوم التي في السماء، وبيَّن الله تعالى أن هذه النجوم ترمى بها الشياطين، فاستنار هذا النجم.

❁ **قال المؤلف: «إذ رمي».**

هذه من سنة الله تعالى في هذه النجوم أنها يرمى بها فيكون فيها هذه الإنارة.

❁ **قال المؤلف: « فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ما كنتم تقولون إذا رمي بمثلِ هذا؟»».**

أي: عادتكم ما هي إذا رأيتم نجمًا قد رمي به على هذا النحو الذي ترونه؟.

❁ **قال المؤلف: « قالوا: كنا نقول: ولِد الليلة عظيم أو مات عظيم. فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنها لم ترم لموت أحد ولا لحياته»».**

في هذا فائدة الحرص على إزالة الأوهام والأمور التي تشيع بلا أساس ودون دليل، كما جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قصة خسوف الشمس لما خسفت قالوا: إنها خسفت لموت إبراهيم، وهو وافق ذلك موت ابن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إبراهيم، فحدثهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد الصلاة فخطبهم بأن «**الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته**» هنا أخبرهم أيضًا أن هذا النجم إذا رمي فإنه لا يرمى به لا لموت أحد ولا لحياته.

وهذه سنة الله تعالى في هذه المخلوقات تجري على وفق ما أخبر الله، وبه يُعلم إن هذه المسائل تستمد من الشرع العظيم، قد يدرك الإنسان منها شيئًا كما قال تعالى: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل]، لكن قد يشيع عن الناس شيء كثير مما لا أساس له ولا أصل له فتعدل هذه المفاهيم

على وفق الشرع.

۞ **قال المؤلف:** «قال: ولكن ربنا ﷻ إذا قضى أمرا سبحت حملة العرشِ».

حملة العرش ملائكة عظام لا يحيط بخلقتهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ويأتي الكلام عليهم إن شاء الله تعالى في بابه، إذا قضى الرب عَزَّوَجَلَّ أمرًا من الأمور بدأ التسبيح من عند حملة العرش.

۞ **قال المؤلف:** «فإذا سبحت حملة العرش سبح أهل السماءِ الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل السماءِ الدنيا».

أي: أن التسبيح يعظم جدًا في السماء، فيبلغ أهل السماء ثم السماء التي تليها ثم التي تليها؛ حتى يبلغ السماء هذه الدنيا.

۞ **قال المؤلف:** «فيقول الذين يلون حملة العرشِ: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، فيستخبر أهل السَّمٰواتِ بعضهم بعضا».

أي: كل أهل سماء يسألون أهل السماء التي فوقهم.

۞ **قال المؤلف:** «حتى يبلغ الخبر أهل السماءِ الدنيا فتخْطف الجِن السمع».

الجن كما في حديث كما روى سفيان، الحديث ثابت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

۞ **قال المؤلف:** «قال: «ومسترق السمع هكذا».

وحرف يده وبدد أصابعه، أي أن مسترقي السمع ليس متلاصقين، وإنما بعضهم فوق بعض، هذا في موضع من الأفق وهذا في موضع آخر، حتى يستمعوا ما تقوله الملائكة التي تنزل في العنان أي: في السحاب، فيستمع الشيطان الذي يلي الملائكة ماذا تقول الملائكة، فيلقيه إلى الذي تحته والذي تحته يلقيه إلى الذي تحته.

۞ **قال المؤلف:** «يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها».

أي: أن الله إذا جاء أن لا يصل هذا الذي تكلم به الملائكة ضرب الشهاب هذا الشيطان فهلك قبل أن يلقيها فانقطع، هذا المعنى، قال: ربما ألقاها بإذن الله، وربما ألقاها قبل أن يدركها فيلقيها إلى الذي

تحته فتصل إلى الذي تحته، وهكذا فيصيبه الشهاب بإذن الله تعالى وكل شيء عنده تعالى بمقدار، يصيبه بعد أن يلقيها حتى تصل إلى الساحر أو الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة.

❍ **وفيه دلالة على تفاني الشياطين -نسأل الله العافية والسلامة- إلى حد تعريض أنفسهم للهلاك،** كل هذا حرصًا على إضلال بني آدم؛ لأن الشياطين تعلم أن الغيب يستحيل استحالة تامة أن يصل إليه جن أو أنس، وأن الغيب أمره إلى الله تعالى، ولهذا سمى نفسه تعالى بعالم الغيب، وقال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠] فالغيب لله عَزَّوَجَلَّ، لكن في حرصهم على الإضلال فإنهم يتفانون ليسمعوا الملائكة، ولو شاء ربك ما فعلوه، لو شاء الله ما تمكنوا، لكن لله عَزَّوَجَلَّ الحكمة في هذا، فيوصلون هذه الكلمة من الغيب وهي كلمة صحيحة أخذوها من الملائكة، ويتفانون هذا التفاني في إرسالها إلى وليهم الخبيث من السحرة والكهنة مقابل ماذا؟ مقابل أن يخلط معها مائة كذبة؛ لأن الشيطان يريد الإغواء والإضلال وهذا مشاهد؛ لهذا يحدثون بالكلمة الواحدة من الحق مما هو من الغيب الذي من كلام الملائكة الذي خطفوه؛ لهذا سمي بمسترق السمع أي: كالسارق الذي يسرق السمع، يخطفه خطفًا، يخطف هذه الكلمات خطفًا ثم ينزلها إلى عدو الله الساحر أو الكاهن، وهذا يدل دلالة واضحة على شدة صلة السحر والكهنة بالشياطين.

❍ **وفيه دلالة على القول الحق الصحيح الراجح أن حدهم شرعًا هو القتل؛** لأنه يحل تركهم ولا الإبقاء عليهم بتاتًا، وأن الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم أن السحرة يقتلون ولا يمكنون، فإذا قُبض على الساحر فإنه يقتل حتى لو أراد التوبة، أي: إذا أراد التوبة فيقال تب فيما بينك وبين الله، هذا أمر بين العبد وبين ربه لا ندري حقيقته، لكن المؤكد أنك لا بُدَّ من قتلك، فإن صدقت في توبتك فهذا أمر بينك وبين رب العالمين، أما حدك في دين الله عَزَّوَجَلَّ فهو القتل حتمًا.

❍ **ولهذا ثبت قتل السحرة عن عدد من الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكتب عمر -كما في البخاري-: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»، ودخل جندب الخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ساحر عند الوليد فكان هذا الساحر عند الوليد بن عقبة وكان يظهر للناس أنه يقطع الرؤوس ويعيدها، سحرًا وعبثًا، فصار الناس يتحدثون ويقولون: سبحان الله يحيي الموتى، فدخل جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه واشتمل على سيفه وأخفاه، فلما بدأ يلعب من الغد انطلق نحوه جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه فضربه بالسيف فمات، فغضب منه الوليد وقال: إنه يدعي إنه يحيي

الناس فليحيي نفسه إن كان صادقًا؛ لأنه أراد أن تنتهي هذه الفتنة خشي أن يظن الناس أن هناك من يحيي الموتى، فقتله وقتلت حفصة ﵂ أيضًا جارية سحرتها، ولهذا قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جاء قتل السحر عن ثلاثة من الصحابة» يقصد هؤلاء ﵃ وأرضاهم، كل هذا دال على خبث السحر والسحرة، وعلى شدة الصلة بين أهله والشياطين، والصحيح من أقوال أهل العلم أن السحر كفر مطلقًا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] ما قال فما تسحر، قال: فما تكفر؛ لأن الكفر حتمًا كفر.

❍ **قال أهل العلم**: لأنه لا يتأتى للساحر سحره إلا إذا قدم دينه -عياذًا بالله- ثمنًا، وهذا مشاهد إذا قبض على السحرة ما الذي يوجد عندهم، يوجد عندهم أسوأ ما يوجد عياذًا بالله، يوجد عندهم كتاب الله العظيم قد لطخوه -لعنة الله عليهم- بحيض النساء أو بالبول أو بالعذرة والنجاسة ويأخذون عليهم أن لا يصلوا، وأن يذبحوا لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يتأتى للساحر سحره إلا إذا قدم دينه ابتداء، نعوذ بالله، فهذا فيه دلالة على شدة صلتهم -كما في الحديث هنا- شدة صلتهم بالسحرة.

❁ **قال المؤلف: «تخطف الجن السمع فيلقونه إِلى أوليائهم»، قال: «فما جاءوا به على وجهِهِ فهو الحق».**

أي: مما خطفوه من الغيب الذي ذكرته الملائكة.

❁ **قال المؤلف: «ولكنهم يقْرِفون».**

أي: يكذبون.

❁ **قال المؤلف: «ويزيدون».**

وهذا هو الحاصل، ودل الحديث الآخر على أنهم يزيدون مائة كذبة، فلهذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الحديث، قال: العجب كيف يصدقون في مائة لأجل أنهم صدقوا في واحدة؟!! فيصدقون في أمر واحد ويضيفون عليه، ولهذا المشاهد على من ذهبوا إلى السحرة أنهم يرجعون من عندهم محملين بأكاذيب كثيرة، فيقولون: أخوك يكيد لك، وزوجة أبيك عملت لك كذا وكذا، وجارك سيفعل كذا وكذا، والأكف يملؤونها بجملة من الأحقاد على الناس يريدون -وربما أعطوه شيئًا من

الحق كما في الحديث هنا- يريدون أن يجعلوا مع هذه الكلمة عدة كذبات طاعة لأوليائهم من الشياطين.

في حديث النواس ﵁، جاء الحديث بشيء من التفصيل، فيه أيضًا أن الله تعالى: «**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي**».

في هذا الحديث وفي الذي قبله، إثبات صفة الكلام لله تعالى على حقيقتها، وأنه كلام يُسمع بحرف وصوت -كما يأتي إن شاء الله تعالى بيانه-، وأن هذه الصفة على ما يليق برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ **قال المؤلف: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السَّمٰوات منه رجفة».**

السَّمٰوات مفعول به مقدم؛ ولهذا كسرت؛ لأن السَّمٰوات ملحق بجمع المؤنث، أخذت السَّمٰوات منه، التقدير أن الرجفة وهي الفاعل تأخذ السَّمٰوات، الرجفة هي الفاعل، الراوي يقول: رجفة أو قال: رعدة شديدة أي: إما أنه قال رجفة أو قال رعدة.

❁ **قال المؤلف: «خوفًا من الله ﷻ».**

هذا بيان لسبب هذه الرجفة التي تأخذ السَّمٰوات على هولها وعظم خلقتها، ومع ذلك فإن الله إذا تكلم بالوحي أخذت السَّمٰوات كلها هذه الرجفة، عند ذلك تصعق الملائكة أو تخر لله تعالى سجدًا، أول من يرفع رأسه سيد الملائكة هو جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو أفضل الملائكة صلى الله عليه وعليهم جميعًا وسلم وعلى نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين.

❁ **قال المؤلف: «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل».**

أيضًا هذا فيه التقديم تقديم خبر كان هنا في قوله فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، هذا هو اسمها مرفوع.

❁ **قال المؤلف: «فيكلِّمه الله من وحيِهِ بما أراد، ثم يمر جِبرائيل على الملائكةِ كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتها: ماذا قال ربّنا يا جبرائيل؟».**

لأن جبريل هو أمين الوحي.

قال المؤلف: «فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلّهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ».

في الباب دلالة على عظمة رب العالمين وأنه سبحانه لعظمته وكبره وجلالة قدره تبارك وتعالى إذا هو تكلم بالوحي هذه المخلوقات الهائلة الكبيرة تصغر عند رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد ذكر الله تعالى أن السَّمٰوات ذات خلقة عظيمة، وقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٣٧] فما دامت السَّمٰوات على هذا الهول العظيم الذي خلقت عليه تصيبها هذه الرجفة والرعدة من كلام رب العالمين، وهذه الملائكة العظام تصيبها هذا الصعق ويخرون لله تعالى سجدًا إذا تكلم الرب بالوحي كل هذا دال على عظمة رب العالمين، ودال على أن كلام الله تعالى مسموع، وأنه كلام بحرف وصوت كما يأتي إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وفيه دلالة على الطاعة العظيمة التي في الملائكة، وأنها في حال من الدوام والاستمرار في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ على كل أحوالها.



❁ **قال المؤلف:** «باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يقبض السَّمٰوات والأرض بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**» رواه البخاري.

وله عن ابن عمر ﷺ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون** السَّمٰوات **بيمينه ثم يقول: أنا الملك**».

وفي روايةٍ عنه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبرِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول هكذا بيدهِ يحركها ويقبل بها ويدْبر: «**يمجِّد الربّ نفسه أنا الجبار، أنا المتكبِّر، أنا العزيز، أنا الكريم**» فرجف برسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر حتى قلنا ليخرّنّ به. رواه أحمد.

ورواه مسلم عن عبيدِ الله بن مقسمٍ أنه نظر إلى عبد الله بن عمر ﷺ كيف يحْكي عن رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يأخذ الله عَزَّوَجَلَّ سَّمٰواتِه وأرضِيه بيديهِ فيقبِضهما، فيقول: أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها فيقول: أنا الملك**» حتى نظرت إلى المنبرِ يتحرك من أسفلِ شيء منه، حتى إني لأقول: أساقِط هو برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!».

وفي الصّحيحين عن عِمران بن حصينٍ ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْبلوا البشْرى يا بني تميمٍ**» قالوا: قد بشرتنا فأعطِنا. قال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمنِ**». قالوا: قد قبِلنا فأخْبرنا عن أول هذا الأمر. قال: «**كان الله قبل كلِّ شيءٍ وكان عرشه على الماءِ وكتب في اللوحِ المحفوظِ ذِكر كل شيء**» قال: فأتاني آتٍ فقال: يا عِمران! انْحلتْ ناقتك من عِقالِها. قال: فخرجت في أثرِها فلا أدري ما كان بعدي.

وعن جبيرِ بنِ محمّد بن جبير بن مطْعِمٍ عن أبيه عن جدِّه قال: جاء أعرابي إلى رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله جهِدتِ الأنفس، وضاعت العيال، ونهكتِ الأموال، وهلكتِ الأنعام، فاسْتسقِ لنا ربك فإنّا نستشْفِع بك على الله وبالله عليك. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويْحك أتدري**

ما تقول؟»، وسبّح رسول الله فما زال يسبح حتى عرفِ ذلك في وجوهِ أصحابِهِ، ثم قال: «**ويحك إنه لا يستشْفع بالله على أحدٍ من خلْقِهِ شأْن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سَّمٰواتِهِ لهكذا وقال بأصابِعِهِ مثل القبةِ عليه وإنه ليئطّ به أطِيط الرحلِ بالراكبِ**». رواه أحمد وأبو داود.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: كذّبني ابن آدم ولم يكنْ له ذلك، وشتمني ولم يكنْ له ذلك؛ أما تكْذِيبُه إياي فقوله: لنْ يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلْقِ بِأهون علي منْ إعادتِهِ، وأما شتْمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوا أحد**».

وفي روايةٍ عن ابنِ عباسٍ ﷺ: «**وأمَّا شتمه إيَّاي فقوله: لي ولدٌ، وسبحاني أنْ أتخِذ صاحِبة أو ولدا**». رواه البخاريّ.

ولهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تعالى: يؤذْيني ابن آدم يسبّ الدهر، وأنا الدهر بِيدِي الأمر أقلّب الليل والنهار**».

هذا الباب عقده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الزمر].

أي: ما عظموه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حق عظمته، ثم ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيئًا من بيان عظمته.

۞ **قال المؤلف**: «قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾».

في هذه الآية إثبات أكثر من صفة لله عَزَّوَجَلَّ:

- **الصفة الأولى**: أنه يقبض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة هذه الأرض يوم القيامة.
- **الصفة الثانية**: أنه يطوي هذه السَّمٰوات طيًّا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ثم نزه نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سبحانه، كلمة (**سبحان**) فيها تنزيه لله عَزَّوَجَلَّ، فقولك: سبحان ربي العظيم أي: أنزه ربي العظيم وتعالى سبحانه وبحمده عما يشركون.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه إطلاق أن النبي قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه**».

ولم يذكر يوم القيامة، الآية فيها ذكر يوم القيامة، إذا ردت النصوص بعضها إلى بعض اتضحت أن المراد بقبض الأرض وطي السماء هذا يكون في القيامة؛ لهذا قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

في الحديث بعده:

❁ **قال المؤلف:** «**إن الله يقبض يوم القيامة**».

وهذا فيه الفائدة لطالب العلم أن عليه أن يجمع النصوص؛ لأنه لو قال: إن الآية إن الحديث الأول: «**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه**» أي: في الدنيا، لقيل له: لو جمعت النصوص أي: بعضها إلى بعض لاتضح لك المراد؛ وهكذا بقية النصوص سواء في القرآن أو السنة ينبغي أن تجمع إلى بعض حتى تتضح دلالتها.

❁ **قال المؤلف:** «**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**».

لما كان الملك الحقيقي لله عَزَّوَجَلَّ، وانتهت الدنيا وما فيها من أملاك الملوك المنقطعة بانقطاع دنياهم.

❁ **قال المؤلف:** «**قال عَزَّوَجَلَّ: «أنا الملك»**».

الملك الحق: هو رب العالمين سبحانه، وكل من ملك شيئًا فإنما مُلكه مُلك محدود، ثم إنه ملك قد اكتسبه بعد أن لم يكن، وهو أيضًا ملك زائل من بعده، زائل وهو مخلفه من بعده، أما ملك الله عَزَّوَجَلَّ فملك لا يزول، ولهذا يقول عَزَّوَجَلَّ في القيامة: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] فالملك الحق لله عَزَّوَجَلَّ، ملوك الدنيا ومن يملك شيئًا في الدنيا إنما هو ملك محدود؛ ولهذا يقول تعالى: «**أنا الملك أين ملوك الأرض**» في الرواية الأخرى: «**أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»، ففي هذه الأحاديث إثبات أن الله تبارك وتعالى يقبض هذه الأراضين جميعًا، كلمة (الأراضين) جمع الأرض وعددها سبع، وقد ورد التصريح في القرآن بأن السَّمٰوات سبع، أما الأرض فما ورد كلمة الأراضين لكن دلت آية سورة الطلاق

على أن الأراضين سبع، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق] أي: مثلهن سبع سَّمٰوات، فالأراضون سبع، والسَّمٰوات سبع، هذه السماء التي نراها هي السماء الدنيا، وفوقها ثانية ثم ثالثة، ثم رابعة ثم خامسة، ثم سادسة ثم سابعة، وجاءت النصوص بيان مقدار بيان ما كل سماء وسماء أن كل بين سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة، ومخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ لا يحيط بها إلا الرب الذي خلقها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وما أوتي البشر مما أتوه من العلم القليل.

في اللفظ الآخر أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قرأ الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ هذه الآية يحرك صلوات الله وسلامه عليه يده يقبِل بها ويدْبِر: «**يمجِّد الربّ نفسه**» ماذا يقول رب العالمين؟ يقول: «**أنا الجبار، أنا المتكبِّر، أنا العزيز، أنا الكريم**» فرجف برسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر من عظم الموقف وهوله؛ حتى قلنا ليخرّنّ به أي: خشوا أن يسقط النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويسقط المنبر.

❍ **فيأتي مسألة وهي مسألة الإشارة عند ذكر الصفات، هل يصح أن يشار عند ذكر الصفات أو لا يشار؟** يقال: الموضع الذي أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه يشار بنفس ما أشار به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والموضع الذي لم يشر فيه اذكر الحديث ولا تشر، وتأسى بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، فحيث لم يشر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تشر أنت؛ لأنك قد تشير إشارة غير صحيحة، وحيث أشار صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن يقول أحد إنه لا يصح أن يشار؛ لأنه لو قيل لا يصح أن يشار لكان هذا نقدًا للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبلغ عن ربه تبارك وتعالى، إذًا يقال في المواضع التي أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها يشار، وفي المواضع التي لم يشر صلوات الله وسلامه عليه لا يشار، ويتأسى به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في جميع الأمور كما تتأسى به في صلاتك وفي وضوؤك وفي حجك، كذلك في الإخبار عنه.

في الحديث الاهتمام بشأن العقيدة، وشأن الصفات فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتد به البيان حتى خشي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عليه أن يسقط به المنبر؛ لهذا في اللفظ الآخر: «**أن الله يأخذ الله سَّمٰواته وأرضِيه بيديهِ تعالى فيقبِضهما، فيقول: أنا الملك ويقبض أصابِعه**»، وفيه إثبات أن الله أصابع على ما يليق بجلاله، وتبلغ عظمة هذه الأصابع ومجدها وهولها أن الله تعالى يضع السَّمٰوات على إصبع، والأراضين على إصبع،

والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، كل هذا يثبت لله على الوجه اللائق به تعالى، ومن عظمة الأصابع أن رب العالمين سبحانه وبحمده بين أصبعين من أصابعه قلوب العباد يقلبها كيف يشاء، ومن عظمة وجلالة وجبروت رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن قلوب العباد جميعًا بين أصبعين من أصابعه تبارك وتعالى يقلبها كيف يشاء؛ ولهذا يسأل العبد ربه أن يثبت قلبه، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، حتى لا يزيغ في الزائغين، كل هذا يثبت لله كما أخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الأمر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق] المقام مقام جد، ومقام بيان وإخبار منه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، كل هذا يُقر لله تعالى على الوجه اللائق به عز اسمه، ولا يشبه، ولا يمثل، ولا يعبث بالمعاني، المعاني لا يعبث بها، لا يجوز أن يقال إنها كناية وإنها مجاز فإن هذا من أساليب المعتزلة ومن نحى نحوهم، يقال هي أصابع لله كما يليق به، ولا يمكن أن تكون مثل أصابع المخلوقين، وكذا يداه تبارك وتعالى على الوجه اللائق به، ولا يمكن أن تشبه بيدي المخلوقين، وهكذا جميع صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تثبت لله على الوجه اللائق به على عظمته وجبروته وكبريائه، وإذا وجد للإنسان صفة كاليد فإن يد الله تعالى ليست كيد المخلوقين؛ لأن ذات الله بإجماع المسلمين ليست كذات المخلوق، فصفات الله ليس كصفات المخلوق ليست كصفات المخلوق، فكما أن للمخلوق يدًا ولله يد، من المؤكد أن يد الله عَزَّوَجَلَّ التي يجعل على أحد أصابعها سبحانه السَّمٰوات، ويجعل على الأصبع الثاني الأراضين، وعلى الأصبع الثالث الماء والثرى، وسائر الخلق على الأصبع الرابع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك من يستطيع أن يشبه أصابع رب العالمين بأصابع هذا المخلوق المسكين، إذا كانت المخلوقات كلها تجعل على أصابعه عز اسمه لا إله إلا هو فيثبت لله تعالى الوصف اللائق به بحسب عظمته وجبروته، وبحسب استغنائه عَزَّوَجَلَّ، ويثبت للخلق الوصف اللائق بضعفهم وعجزهم وفنائهم، وافتقارهم، فلله تعالى الصفات اللائقة به، وللمخلوق الصفات اللائقة به.

يقول ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في سياق الحديث: «**يأخذ الله سَّمٰواته وأراضيه بيديه فيقبضهما فيقول: أنا الملك، ويقبض أصابعه ويبسطها**» فيه أيضًا صفة البسط لله تعالى، وصفة القبض كل هذا يثبت لله على ما يليق به، فيقول: «**أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، وهذا حب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وشفقتهم على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى خشوا أن يسقط به المنبر، مع أن المنبر ليس مثل المنابر الموجودة الآن، ليس منبراً عاليًا إنما هو منبر له درجتان فقط؛

لكن مع ذلك خشوا أن يسقط هذا المنبر به صلوات الله وسلامه عليه.

في الصحيح أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاءه بنو تميم فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ابشروا**» فقالوا: قد بشرتنا فأعطيتنا، فجاءه أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمنِ**»، إذا لم يقبلها بنو تميم، فقالوا: قد قبِلنا، فكان جواب أهل اليمن أفضل وأجود؛ لأن الجواب الملائم السليم إذا بشر المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء أن يجاب، ولا سيما أن يقول اقبلوا أن يقال: قبلنا، وبعد ذلك ينتظر المبشر ما الذي بشر به، فكان جوابهم أجود وأصلح من جواب بني تميم حين قالوا: بشرتنا فأعطنا، فجاء أهل اليمن وسألوا عن أمر يتعلق بالله وهو السؤال عن أول هذا الخلق، أخبرنا عن أول هذا الأمر.

۞ قال المؤلف: «فقال: «كان الله قبل كلِّ شيءٍ».

وهذا من بيان اسم الله الأول، اسم الله الأول كما في الحديث:

۞ قال المؤلف: «اللّٰهمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء».

اسم الله عَزَّوَجَلَّ (**الأول**) هو الاسم الثابت في الكتاب والسنة، أما اسم (**القديم**) فلا ينبغي أن يطلق على الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن اسم (**الأول**) -كما في الحديث هنا- يدل على أن ليس قبله أحد، أما القديم فقد يسبق كما قال تعالى ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الشعراء] فآباؤنا الأقدمون قبلهم آباؤهم الأقدمون، وهكذا قوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس]، فالاسم الصحيح الذي هو الاسم الحسن؛ الأحسن لله تعالى هو اسم (الأول)، أخبرنا عن أول هذا الأمر.

۞ قال المؤلف: «قال: كان الله قبل كل شيء».

لا شك أن الله هو الأول، وأنه لم يكن شيئًا من الخلق بتاتًا، ثم خلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أول ما خلق على الصحيح خلق العرش، ثم خلق القلم فقال له: اكتب، فقال: ما أكتب؟ فأمره أن يكتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة فقدر في تلك الساعة ما هو كائن بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، في ساعته كتب كل شيء، والرب عَزَّوَجَلَّ قد علم كل شيء فأمر القلم أن يكتب، فكتب بإذن الله تعالى.

۞ قال المؤلف: « «وكان عرشه على الماءِ».

عرش الله تعالى على الماء، هذا الماء بين السماء السابعة وبين العرش، والعرش هو أعظم

المخلوقات على الإطلاق حتى ورد في عظمته أن السَّمٰوات السبع كدراهم سبعة ألقيت في ترس بالنسبة إلى الكرسي، والكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ألقيت في فلاة، الكرسي علمنا أنه أعظم من السَّمٰوات؛ لأن السَّمٰوات بالنسبة للكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، فما أعظم الكرسي، العرش أعظم من الكرسي إلى حد أن الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة صغيرة ساعتك تسمى حلقة، ألقيت في فلاة في برية واسعة، ماذا تمثل هذه الحلقة بالنسبة إلى البرية، هو الكرسي بالنسبة إلى العرش؛ لهذا العرش سماه الله تعالى كما سيأتي في بعرش المجيد وغيره من وصفه الله تعالى بالكريم وبالمجيد وغيره من الأوصاف التي تأتي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **قال المؤلف:** «وكتب في اللوحِ المحفوظِ ذِكر كل شيء».

اللوح المحفوظ، هذا الماء في قوله: وكان عرشه على الماء، مسيرته خمسمائة سنة ما بين السماء السابعة وما بين العرش، بينهما هذا الماء، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧]، هذا الماء مسيرته خمسمائة سنة، والعرش فوق الماء كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ ولا يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه سبحانه، قال: فأتاني آتٍ فقال: يا عِمران! يقول وأنا استمع لأنه جلس وسمع كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أول بني تميم ثم جواب أهل اليمن، ثم سؤالهم ثم جواب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: فأتاني آت فقال: يا عمران انْحلتْ ناقتك من عِقالِها. كانت ناقته مربوطة فانحلت، قال: فخرجت في أثرِها فلا أدري ما كان بعدي، أي: أنه ذهب يبحث عن الناقة، في بعض الروايات أنه تمنى أنه ترك الناقة تذهب وأنه جلس أي: ليستمع هذا الكلام العظيم؛ لأن هذا في علم شريف جليل، متعلق برب العالمين سبحانه وبحمده.

في حديث جبيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابًا جاء للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: يا رسول الله جهِدتِ الأنفس، من ماذا؟ من قلة المطر، هذا المعنى، «وضاعت العيال، ونهكتِ الأموال، وهلكتِ الأنعام، فاسْتسقِ لنا ربك»، أي: سل الله تعالى أن يسقينا وأن يغيثنا، كل هذا لا بأس به، حتى قال: «فإنّا نستشْفِع بك على الله»، وهذا أيضًا في محله أي: زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشفع لهم عند الله بالدعاء، حتى قال: وبالله عليك، نستشفع بالله رب العالمين عليك أنت، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظم هذا. فقال: «**ويْحك**» زجرًا وعتبًا على هذه المقولة، «**أتدري ما تقول؟**»، أي: هذه الكلمة التي خرجت

منك أتدري ما هي؟! تدري بفداحة الكلمة التي قلت؟!، وسبّح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

في هذا دلالة على أن المواضع التي يكون فيها ما لا يليق ويقال عن الرب سبحانه ما لا يحل أن يقال أن الرب تعالى يسبح عندها أي: ينزه، هذا معنى التسبيح.

❁ قال المؤلف: « سبح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فما زال يسبح».

أي: أنه استمر يسبح ينزه الله تعالى قوله: سبحان الله، سبحان الله.

❁ قال المؤلف: «حتى عرفِ ذلك في وجوهِ أصحابِهِ».

أي: أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ تأثروا جدًا، وكانوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ إذا رأوا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أي موقف فيه تأثر من صلوات الله وسلامه عليه يتأثرون جدًا مما أصاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الهم أو الضيق أو العتب على أحد.

❁ قال المؤلف: « قال: «ويحك».

بيانًا لغلطته.

❁ قال المؤلف: «إنه لا يستشْفع بالله على أحدٍ من خلْقِهِ».

الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد أمرًا لا يقال يا ربي اشفع لي عند فلان، قال: يا رب يسر لي كذا، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، فكيف يستشفع بالله عَزَّوَجَلَّ على أحد والله يصرف هذا المخلوق ويصرف الخلق كله، إذا أراد شيئا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، فهذا لا يليق أن يقال: اللّٰهمَّ إنا نستشفع بك لتقضى حاجتنا عند فلان، أنت وفلان وحاجتك والسَّمٰوات والأرض وما فيهما وما بينهما تحت ملكه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، إذا أراد أمرًا تبارك وتعالى هي كلمة واحدة أن الله تعالى يقول الكلمة ثم لا يعيدها عز اسمه ولا إلٰه إلا هو، الرب تعالى إذا أمر بالأمر ليس مثل البشر، أنت في بيتك تأمر بالأمر ثم ربما تعيده مرات، وربما لا ينفذ من كثرة مثلا ما تلح على أبنائك، وقد لا ينفذ وقد ينفذون بعد كثرة إلحاح، الله تعالى لا يحتاج ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس] ولهذا: إذا أراد الله أمر يبعث الخلق ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات] وهكذا

رب العالمين لا يعيد الكلمة ويكررها لينفذ أمره سبحانه وبحمده.

ولهذا استعظم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول هذا الأعرابي هذه الكلمة، فبيَّن أن الله تعالى أن الله تعالى لا يستشفع به على أحد من خلقه.

❁ **قال المؤلف: «قال: «شأْن الله أعظم من ذلك»».**

أي: الله ينزه عن أن يقال في حقه هذا، ثم قال ثانية: «**ويحك**» عبتًا وزجرًا لشدة ما قال.

❁ **قال المؤلف: «أتدري ما الله؟»».**

أي: هذه الكلمة التي قلتها دلت على أنك لست ذا علم برب العالمين.

❁ **قال المؤلف: «أتدري ما الله؟ إن عرشه على سَّمٰواتِهِ لهكذا»».**

وأشار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**بأصابِعِهِ مثل القبةِ**) أي: أن العرش على هذه السَّمٰوات مثل القبة، كما أن القبة تكون فوق الشيء ومحيطة به، فكذلك العرش، فرب العالمين على عرشه، والعرش فوق السَّمٰوات، على السَّمٰوات على هذا النحو كالقبة.

❁ **قال المؤلف: «وِإنه ليئِطّ به أطِيط الرحلِ بالراكبِ»».**

الرحل يجعل على البعير فيكون من آثار هذا الرحل يكون هناك صوت، يقول: يئط -أي العرش- بالرب تعالى أطيط الرحل بالراكب، رواه أحمد وأبو داود.

في هذا الحديث أيضًا تنبيه العامي وتنبيه من يجهل أمر متعلقًا بالله إذا سأل سؤالًا لا يليق، وعدم عقوبته إذا كان جاهلًا، أي: لا يستعجل عليه العقوبة، كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستطيع أن يأمر بمعاقبته، لكن هذا رجل يجهل، لكن فيه دلالة على أنه حتى لو كان جاهلًا فإنه يعظم عليه الأمر وينبه ويحذر، ويوضح له وجه خطأه، أي: لا يسكت له؛ لأن السكوت خطأ، لا يعاقب؛ لأنه جاهل وهو في ظنه أنه محسن؛ لأنه يريد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستسقي ويسأل الله تعالى أن يغيث لاعتقاده الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول من رب العالمين، وأن الله تبارك وتعالى بيده الملكوت وأنه إذا دعي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أجاب، وهذا في محله، لكن أخطأ في الأسلوب نفسه، ففيه دلالة على أنه يعلَّم.

❍ **وفيه دلالة على أن الخطأ في العقيدة ليس بالهيّن،** الخطأ في العقيدة ليس بالأمر اليسير، وأن قول بعض الناس أن مثل هذه الشركيات ومثل هذه العبارات لا ينبغي أن يشدد فيها، إذا ما شددنا في الشرك في أي شيء نشدد؟ إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول على المنبر أو يقول بين أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا الرجل جاهل يعنفه ثلاث مرات يقول فيها: ويحك، ويحك، ويحك، ويسبح الله هذا التسبيح العظيم، وينزه الله تعالى على أن يقال في حقه هذا، حتى رأي ذلك في وجوه الصحابة تأثروا ﷺ وأرضاهم بما أصاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة الغم.

هذا معنى كون العقيدة رأسًا، يجب أن تكون هي أولى الأولويات، وأكبر المهمات؛ لأنه لا يحل بتاتًا أن تقول محل التفريط، ولهذا قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «**صحيحه**»، في قول الله عَزَّ وَجَلَّ في آخر سورة الحجر لما أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى الآية التي فيها سؤال الجميع: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر] قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «عدة من أهل العلم عن لا إلٰه إلا الله»، هذا المراد، أي: أن السؤال عقدي وأن القضية قضية كبيرة السؤال سيكون عن التوحيد، قال: عدة من أهل العلم عن لا إلٰه إلا الله.

❍ **فأمر الاعتقاد أمر كبير وعظيم وينبغي أن يكون المحل الأجل،** فأما المتسولون الخونة المجرمون الذين ليسوا جهلة ممن يقولون الكلمات العظام في حق رب العالمين أو في حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهؤلاء يجب قتلهم شرعًا، ولا يحل السكوت عليهم، أظهروا هذا في شعر، أو في نثر، أو في رسم، أو في تمثيل، صرحوا، أو لمحوا، الأمر كبير الأمر عظيم جدًا، لكن هذا تحمل لأنه جاهل أما هذا الذي يتعرض لجناب رب الأرض والسماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا شك أنه يجب قتله ولا يحل تركه إلا إذا استتيب، فأظهر التوبة وإذا أظهر التوبة فليس معنى ذلك أنه يسهل من أمره، لا بُدَّ أن يعاقب.

أما الصحيح فيمن سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالصحيح أنه يقتل حتمًا، كما رجحه شيخ الإسلام في «**الصارم المسلول**» وذكر عليه أدلة كثيرة، وهو مذهب أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ومالك أنه يقتل حتمًا حتى لو تاب؛ لأن سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه حق بشر، وحق البشر إذا نظرنا إلى من سبّوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجدنا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعامل معهم بنوعين من التعامل منهم من عفا عنه، ومنهم من قتله.

فدل على أن الأمر يرجع إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فأما بعد مماته فلا الحاكم يستطيع أن يكون

محله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا قريب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آل بيته يستطيع أن يكون محله بحيث يقال ما رأيكم يعفى أو لا يعفا، فلهذا يتحتم قتله، لكن القتل للساب لا يكون من قبل عامة الناس، الأمور ليست فوضى، وإنما يكون الحد بإقامة القاضي الشرعي، ثم إن بعض هؤلاء الذين قد يطلقون هذه الكلمات، لماذا يقال لا بُدَّ أن يعاد للشرع؟ لأن الواحد منهم قد يكون غير سوي، وغير مكلف شرعًا، ويعلم الله تعالى منه أنه غير مؤاخذ، وإذا تحقق منه وإذا به في عقله إشكال، هذا لا يقتل قطعًا، كيف نتحقق من هذا؟ عن طريق القضاء.

فلهذا الأمور لا تكون بيدي الناس، وبمجرد أن يغتاظ الناس ينطلقون هكذا لقتل هذا الساب، لا، ليس بهذا الإطلاق، إنما يرجع، ثم إن الكلمة من السب، الكلمة يظن أنها سب ولكنها في عرف الشرع قد لا تصل إلى حد السب، بل قد تكون بعض الكلمات تفهم فهمًا خاطئًا، روى مسلم في «**صحيحه**» عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو عربي فصيح قال: كان رجل من الأنصار لا تخطؤه صلاة، فقلت له: لو اشتريت حمارًا يقيك الرمضاء؟ فقال: ما أحب أن بيتي بجنب بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الكلمة محتملة أن يكون مبغضًا لقرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجواره، وتحتمل معنى آخر وهو أن الرجل يريد أن يكون بيته بعيدًا حتى تكتب له خطوات؛ لأن بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجانب المسجد، يقول أبي: فحملت به حملًا، كلمة ظاهرها أنها قبيحة، ما يريد جوار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله، هذا الموضع لما قلنا أنه ترد الأمور إلى القضاء الشرعي، سأله عن الذي حمله عن أن يقول ذلك، قال: إني أريد أن تكتب لي خطواتي إذا أتيت إلى المسجد وإذا رجعت إلى أهلي فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد كتب الله ذلك كله أجمع**»، وفي لفظ آخر: «**إن لك ما احتسبت**» أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهم من الكلمة أنه يبغض جوار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يبغض جوار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا منافق نفاقه معلوم، وإلا مَن يشرف بجوار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبغض ذلك، لكن للرجل مقصد آخر بينه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه، وثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن بني سلمة لما أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دياركم تكتب آثاركم**» أي: ابقوا لما أرادوا القرب من المسجد قال: «**اغتنموا بُعْد مكانكم حتى تكتب لكم آثاركم**» فالكلمة قد يظن أنها من السب الذي يستوجب القتل ولا تكون كذلك إذا دقق فيها.

القصد أن الكلمات التي لا تليق بالله عَزَّوَجَلَّ ينبغي أن ينظر فيها من جهة القائل أهو جاهل أو غير جاهل، وينبغي أن ينظر في الكلمة نفسها هل هي مما لا يليق بالله تبارك وتعالى، أو أن السامع ربما فهمها فهمًا على غير محله، وهي في موضع سليم لا إشكال فيه؛ ولهذا قلنا إنه ينظر في مثل هذه الأمور من زاوية القضاء الشرعي لا من جهة الناس.

قال المؤلف: «قال الله ﷻ: كذّبني ابن آدم ولم يكنْ له ذلك».

قطعًا، كيف يكذب هذا المخلوق الضعيف يكذب رب العالمين سبحانه الذي قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] كيف يكذب هذا المخلوق الضعيف الفاني كيف يكذب رب العالمين؟!!.

قال المؤلف: «وشتمني».

ليس فقط تكذيبًا بل ومع الشتم.

قال المؤلف: «ولم يكنْ له ذلك؛ أما تكْذِيبُه إِياي فقوله: لنْ يعيدني كما بدأني».

أي: ينكر البعث، والله قد أخبر أنه سيبعث الخلائق فالذين جحدوا أمر البعث قد كذبوا الله تعالى فيما أخبر به.

قال المؤلف: «قال تعالى: «وليس أوّل الخلْقِ بِأهون عليّ منْ إعادتِهِ».

الله تعالى بدأ الخلق ولم يكن ثمة خلق أصلًا، إعادة الخلق هو تجميع هذا الخلق، قال الله عَزَّوَجَلَّ في بيان ما يقع للإنسان: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [ق] فهذا الذي جُعل في قبره اليوم وبدأت تتناقص أجزاء جسده بالتدريج كل ما نقص من هذا العبد فالله تعالى لم يخفى عليه منه شيء، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ فالإعادة، لا شك أن الإعادة هي إعادة للموجود يجمع الله تعالى هذه العظام واللحوم والعروق بعضها إلى بعض، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات] أما الخلق ابتداؤه فكما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ

تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ [مريم] فالذي يقدر على أن يوجد من العدم لا يعجزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجمع هذا الذي تفرق من هذا المخلوق.

❁ **قال المؤلف: «وأما شتْمه إِياي فقوله: اتخذ الله ولدا».**

دل على أن النصارى شاتمون لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن اعتقاد أن لله الولد نوع شتم لله سبحانه، وهكذا كفار العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله فإنهم أيضًا يدخلون في كونهم شتموا الله بدعواهم أن الله اتخذ الولد، والولد في اللغة: يطلق على الذكر والأنثى معًا، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١] وإن كان في عرف الناس أن الولد خاص بالذكر، لكن في اللغة الولد يشمل الذكر والأنثى، فمن نسب لله تعالى البنات كما قال تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل]، أو جعل لله تعالى نسب الذكور كما نسبت النصارى عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ابنًا لله تعالى، أو اليهود نسبوا عزيرًا كل هؤلاء يدخلون في حد شتم الله عياذًا بالله.

❁ **قال المؤلف: «قال تعالى: «وأنا الأحد الصمد الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوا أحد».**

الله عَزَّوَجَلَّ هو الأحد، أي: ذكر سورة الإخلاص، أن الله تعالى هو الأحد سبحانه وبحمده، الصمد، أي: تصمد الخلائق في حاجاتها إليه، وهو السيد الذي كمل سؤدده، الواحد الأحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالصمد قيل أنه السيد الذي كمل سؤدده وقيل أن الذي لا جوف له، وقيل أنه تبينه الآية بعدها، معنى الصمد الذي ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وقيل معنى الصمد الذي تصمد الخلائق في حاجاتها له سبحانه، وقال الدراقطني: «كله هذه صحيحة»، فهو السيد الذي كمل سؤدده، وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وهو الذي تصمد الخلائق في حاجاتها إليه، جميع المعاني صحيحة.

❁ **قال المؤلف: «وفي روايةٍ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وأمَّا شتمه إِيَّاي فقوله: لي ولدٌ».**

أي: كقوله لله عَزَّوَجَلَّ الولد.

❁ **قال المؤلف:** ««وسبحاني أنْ أتخِذ صاحِبة أو ولدا»».

في الحديث بعده:

❁ **قال المؤلف:** «قال الله تعالى: «يؤذْيني ابن آدم يسبّ الدهر، وأنا الدهر بِيدِي الأمر أقلّب الليل والنهار»».

الدهر: هو الزمان مدة الزمان، وسبه سواء كان سب الدنيا بأسرها بأن يقال: لعن الله هذه الدنيا التي رأينا فيها الأنكاد، ورأينا فيها كذا، أو يقول -عياذًا بالله-: لعن الله هذا الزمان، أو أن يقول: لعن الله هذه الساعة التي عرفت فيها فلان، أو أن يسب الليل أو يسب النهار، هذه كلها داخلة ما السبب؟ بينه النص، وهو حديث قدسي من كلام الله تعالى، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «**يؤذْيني ابن آدم**» نعم ابن آدم يؤذي، ولكن لا يضر الله، في هذا الحديث أن ابن آدم يؤذي الله عَزَّوَجَلَّ بالقول القبيح؛ لأن الله تعالى لا يرضى هذه الأقوال القبيحة فهي تؤذي الله عَزَّوَجَلَّ، وقد تهدد الله من يؤذونه ويؤذون رسوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝٥٧﴾ [الأحزاب]، فمن آذى الله تعالى فإنه متوعد بهذا الوعيد، وهذا من الأدلة على غلظ وقبح مسألة سب الدهر؛ لأن هذا داخل في أذية الله، وقد ذكر الله هذا الوعيد الشديد، يؤذيني ابن آدم، بما يؤذي الله؟ بسب الدهر، لكن هل هذه الأذية تضر الله؟ معاذ الله، حاشا لله، قال الله تعالى كما في الحديث الصحيح في «مسلم»: «**يا عبادي إنك لم تبلغوا ضري فتضروني، ولم تبلغوا نفعني فتنفعوني**» فالله تعالى يغضبه، ويستقبح هذه الألفاظ، وهي تؤذيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكن لا تضره، لأن العباد لا يمكن أن يضروه، كما أن الله تعالى لا يمكن أن يُظْلم، فالعباد إذا فعلوا مثل هذه الأفعال الخبيثة فإنما يظلمون أنفسهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٥٧﴾ [البقرة] فالأذية هنا ذكرها تعالى أن ابن آدم يؤذي الرب بسب الدهر، قوله: وأنا الدهر، ليس معناه أن الدهر من أسماء الله وأن الله هو الزمان، بل مبيّن بالذي بعده، وأنا الدهر بيدي الأمر، هذا المعنى بينه نفس النص، وليس المعنى أن الدهر اسم من أسماء الله، بل معناه أن الرب تعالى بيده أمر هذا الدهر يقلب الليل والنهار كما شاء سبحانه وبحمده؛ فدل على قبح هذه الألفاظ التي كون وهي كثيرة جدًا في الشعر، لا تكاد تجد شاعرًا إلا ويسب الدهر.

يا دهر ويحك ما أبقيت لي ولدًا فأنت والد سوء تأكل الولد

ونحو ذلك في الشعر الشعبي، والشعر العربي كثير جدًا في الناس، وهكذا هذه الألفاظ التي يقول

القائل: لعن الله الساعة التي عرفت فيها فلانًا، هذا منتشر الحقيقة كثير، وقطع الله الوقت الذي عرفت فيه فلان، أو الذي فعلته كل هذا من سب الدهر الليل النهار، الساعات ما لها علاقة بك، هي ظروف قدر الله عَزَّوَجَلَّ فيها أقدار بحكمته البالغة، فلا شأن لليل، ولا شأن للنهار، ولا شأن للساعات، ولا شأن للزمن، ولا شأن للدهر إنما هي أمور يجريها الله تعالى بسابق حكمته، فإذا رأيت ما لا يسرك فعد على نفسك باللائمة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] ثم احتسب عند الله تعالى أجرها، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد] ما أصابك من مصيبة، أصابتك في نفسك، في مالك، في أهلك فإنما هي من عند الله تعالى ابتلاء، والمؤمن ما يصيبه من شيء إلا ويكفر عنه فيحتسب لله تعالى ويترك عنه السب ويترك التأفف والتأوه، يحمد الله على ما وقع، ويحتسب الأجر والصبر، وإلا فقضاء الله ماض، وإن رغم، قضاء الله سيمضي، لكن الموفق من يحتسب الأجر فينتفع بما وقع، وغير الموفق من يسب ثم لم يغير من أمر الله شيئًا، فيجتمع عليه مرارة الدنيا ويجتمع عليه مع ذلك عياذًا بالله عقوبة الآخرة.

❁ **قال المؤلف:** «باب الإيمان بالقدر وقولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ ٤٩﴾ [القمر]

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّ الله قدّر مقادير الخلائقِ قبل أنْ يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين**» قال: «**وعرشه على الماء**».

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النّارِ ومقعده من الجنَّةِ**»، قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟! قال: «**اعملوا فكلٌّ ميسّر لما خلِق له؛ أمّا من كان من أهل السّعادةِ فسييسّر لِعمل أهل السّعادة، وأمّا من كان من أهل الشّقاوةِ، فسييسّر لِعمل أهل الشّقاوة ثمّ قرأ:** ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾» [الليل]» متّفقٌ عليه.

وعن مسلم بن يسارٍ الجهني قال: سئِل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] فقال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها، فقال: «**إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره بيمينِهِ، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقْت هؤلاء للجنّةِ وبعمل أهل الجَنَّةِ يعملون، ثمّ مسح ظهره فاستخْرج منه ذرِّية فقال: خلقت. هؤلاء للنّار وبعمل أهلِ النّار يعملون**»، فقال رجلٌ: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال: «**إنّ الله إذا خلق العبد للجنّةِ استعمله بعمل أهل الجَنَّةِ حتّى يموت على عمل من أعمال أهل الجَنَّةِ فيدخله به الجَنَّة، وإذا خلق العبد للنّارِ استعمله بعمل أهل النّار حتّى يموت على عمل من أعمال أهل النّار فيدخله النّار**». رواه مالك والحاكم وقال: على شرط مسلم.

ورواه أبو داود من وجه آخر عن مسلم بن يسار عن نعيمِ بن ربيعة عن عمر.

وقال إسحاق بن راهويه: حدّثنا بقية بن الوليدِ، قال: أخبرني الزبيدي محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرَّحمٰن بن أبي قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام أنّ رجلا قال: يا رسول الله أتبتدأ الأعمال أم قد قضِي القضاء؟ فقال: «**إنّ الله لماّ أخرج ذرِّيّة آدم من ظهرِهِ أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفّيهِ، فقال: هؤلاءِ للجنّةِ وهؤلاءِ للنارِ، فأهل الجَنَّة ميسّرون لعمل أهل الجَنَّةِ وأهل النّار ميسّرون لعمل أهل النّار**».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «**إنّ أحدكم يجمع خلْقُه في بطنِ أمِّه أربعين يوما نطفة، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات: فيكتب عمله وأجله ورِزقه وشقِي أو سعيد، ثمّ ينفخ فيه الروح، فوالّذي لا إلٰه غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجَنَّة حتّى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النّار فيدخلها؛ وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النّار حتّى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجَنَّة فيدخلها**» متّفق عليه.

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أو سعيدٌ؟ فيكتبان، فيقول: يا رب أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تُطْوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص**» رواه

مسلم.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: طوبى له، عصفورٌ من عصافير الجَنَّة لم يعمل سوء ولم يدركه، فقال: «**أو غير ذلك يا عائشة! إنّ الله خلق للجنةِ أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلّ شيء بقدرٍ حتى العجز والكيس**» رواه مسلم.

وعن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر] قال: يقْضى فيها ما يكون في السّنة إلى مثلها. رواه عبد الرزاق وابن جرير.

وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وأبي عبد الرَّحمٰن السلمي، وسعيد بن جبيرٍ ومقاتِل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله خلق لوحا محفوظًا من درة بيضاء، دفّتاه من ياقوتةٍ حمراء، قلمه نور، وكتابه نورٌ، عرضه ما بين السّماء والأرض، ينظر فيه كلّ يومٍ ثلاثمائةٍ وستين نظرة، ففي كلِّ نظرةٍ منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرَّحمٰن] رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبراني والحاكم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى -لما ذكر هذه الأحاديث وما في معناها-، وقال: فهذا تقدير يومِي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله تقدير عمرِي عند تعلقِ النفس به، والذي قبله كذلك عند أول تخليقِهِ وكونِهِ مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السَّمٰوات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكلّ واحدٍ من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السّابقِ. وفي ذلك دليلٌ على كمال علم الرّبِّ وقدرتِه وحِكمتِهِ، وزيادة تعرِيفِهِ الملائِكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه.

ثم قال: فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال

عليه، بل يوجب الجدّ والاجتهاد.

ولهذا لما سمع بعض الصّحابة ذلك قال: ما كنت بأشد اجتهادا منِّي الآن.

وقال أبو عثمان النّهدي لسلمان: لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحا منِّي بآخره.

وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة وهيّأه ويسره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بعدها.

وعن الوليد بن عبادة قال: دخلت على أبي وهو مريضٌ أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني؛ فلمّا أجلسوه، قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أوّل ما خلق الله القلم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**» يا بني إن مِتّ ولست على ذلك دخلت النّار. رواه أحمد.

وعن أبي خِزامة عن أبيه ﷺ قال: قلت: يا رسول الله! أرأيت رقى نسترقِيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقِيها هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: «**هي من قدر الله**» رواه أحمد والتِّرمذيّ وحسّنه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، فإنْ أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا! ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**» رواه مسلم».

هذا الباب العظيم، باب الإيمان بالقدر ينبغي أن يضبطه طالب العلم، وهو -ولله الحمد- من أيسر ما يكون وأسهله على من أخذه من النصوص، وإنما يكون الخلل والخلط فيمن أخذه من غير طريق النصوص، وثمة أمر ينبغي أن يتفطن له من مسائل القدر، وهما نرجوه الآن من الإخوة أن لا يقوم أحد حتى ينتهي من شرح موضوع القدر، موضوع ليس عسرًا، لكن من الأشياء التي تسبب اللبس فيه أن تسمع بعض الكلام وتترك بعضه، أو أن تسمع الشبهات فيه وتتلقى الخبر منه، وقد روى ابن أبي حاتم أن

الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إذا تكلم في القدر أو في اليوم الآخر لم يقطع حديثه ولم يجب سائلًا حتى ينتهي؛ لأن مثل هذا الموضوع ينبغي أن يسمع كاملًا، حتى لا يفهم جزء منه ويبقى جزء منه غير مفهوم، أو أن يُسمع شيء من النصوص فيفهم على غير المراد الشرعي.

ولهذا أول مسألة سنبدأ بها إن شاء الله تعالى في هذا الباب العظيم، أن نذكر أقسام النصوص الثلاثة الواردة في موضوع القدر، فنقول: إن النصوص الواردة في موضوع ا لقدر تنقسم إلى أقسام ثلاثة في القرآن، وفي السنة، وفي كلام السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم:

- **القسم الأول**: إثبات ما يتعلق بالرب سبحانه.
- **القسم الثاني**: إثبات ما يتعلق بالعبد.
- **القسم الثالث**: النهي الشديد عن النزاع والجدال الباطل في موضوع القدر.

إذا عرفت أقسام النصوص وسمعت نصًّا من هذه النصوص التي أورد المصنف أو غيرها وألحقت كل نص بالقسم المتعلق به اتضحت لك الأمور بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، إنما يكون الخلل إذا جعلت القسم الأول المتعلق بالرب مصادمًا للقسم الثاني المتعلق بالعبد، فهذا من الخلل الأكيد، ويأتي إن شاء الله تعالى الكلام عليه بإذن الله تعالى في أثناء الشرح.

❁ فنقول: ما الذي يثبت لله في القسم الأول؟

نقول: يثبت لله في القسم الأول أربعة أمور، الإيمان بأن الله علم كل شيء جملة وتفصيلًا، القسم الأول المتعلق بالرب إثبات ما يتعلق بالرب: تثبت الأمور الأربعة الآتية:

- **الأول**: أن علم كل شيء جملة وتفصيلًا.
- **الثاني**: أن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.
- **الثالث**: أنه لا يمكن أن يقع شيء إلا بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، إنه ما من شيء يقع إلا بمشيئته عَزَّوَجَلَّ.
- **الرابع**: أنه ما من شيء مخلوق إلا الله وحده خالقه، أن الله خلق كل شيء سبحانه وبحمده فلا خالق سواه.

هذا ما يتعلق بالرب، وهو مرتبط بربوبية وعظمة جبار السَّمٰوات والأرض؛ إذ لا يقع شيء والله لا

يعلمه -معاذ الله-، أو يقع شيء خارج ما كتب الله -معاذ الله-، أو يقع في هذا الملكوت شيء لم يشأه الله ووقع والله لم يشأه -معاذ الله-، أو أن يكون شيء من هذه المخلوقات لم يخلقه الله، إذًا إثبات وهي المسماة بمراتب القدر الأربعة، العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق، هذا ما يتعلق بالرب، فإذا علمنا ذلك فهمنا القسم الأول فهمنا أنه لا يمكن أن يقع في ملكوت الله تعالى في أرضه أو في سمائه في الدنيا أو في الآخرة مما يعلق بالعباد أو فيما يتعلق بالرب، أمر إلا وقد أحاط الله تعالى به علما، وقد علمه به تعالى قبل أن يقع، ولا يمكن أن يقع شيء مما علمه تعالى إلا وقد كتبه كما في الحديث عندك، «**أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن**» بأمر الله عَزَّوَجَلَّ كتب كل شيء حتى التفاصيل الدقيقة هذه لو أخذت هذا القلم فسقط منك هذا قد كتب في اللوح المحفوظ، كل شيء حتى أنفاسك وحتى عدد اللقم التي ستأكل، وحتى عدد ما ستطرف عينك، وعدد ما ستخطو قدمك قد كتبت.

❍ **الأمر الثالث:** أنه لا يمكن أن يقع تسكين ولا تحريك، ولا صغير، ولا كبير إلا بمشيئة جبار السَّمٰوات والأرض، الهزيمة يوم أُحد قد شاءها الله، كما أن النصر يوم بدر قد شاءه الله، فيشاء كل شيء، ولا يمكن أن يقع شيء إلا بمشيئته، يقع الشيء بمشيئته تعالى إما قد يكون مرًا وشرًا على الناس؛ لأن الناس قد استحقوا أن يوقع الله بهم ما وقع.

ولهذا هذه الآية العظيمة عبرة لأمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى قيام الساعة ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ**﴾ [آل عمران] يوم أحد من الهزيمة ﴿**قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا**﴾ أي: يوم بدر من قتل السبعين وأسر السبعين، ﴿**قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ**﴾ أي: كيف يقع هذا، قال الصحابة ﷺ: كيف يقع هذا؟! نحن المسلمون وفينا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهم الكفار، كيف نهزم ﴿**هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ**﴾ أي: بسببكم، ثم قال: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥**﴾ [آل عمران] هو الذي قدره، ثم قال: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦**﴾ أي: ليظهر علمه تعالى في المؤمنين، ﴿**وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ**﴾ الآية، وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ**﴾ الخير والشر قد قدره الله تعالى: ﴿**فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨**﴾ [النساء] الذي يتحدث عن القدر بهذه الطريقة لا يفقه؛ لأن الله تعالى قد قدر كل شيء، فلا يقع شيء إلا بإذنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ثم بين لماذا

يقدر تعالى الأمر الذي يسوء العبد: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ من فضله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: بسببك، ودل تعالى على أنه لا يؤاخذ العبد بكل ما يقع وإلا لهلك، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى] في أشياء كثيرة جدا قد عفا الله عنها، ثم أخذك بشيء مما وقع منك، وإلا لو آخذك بأمور قبلها وبعدها تهلك، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] لكثرة الأخطاء، ولكنه تعالى عفو وحليم، ويعطي العباد ما تقوم به عليهم الحجة فيمد لهم سبحانه، وتكثر العبر وتكثر النذر، وتكثر الحجج؛ حتى يهلك الإنسان عن بصيرة -إذا هلك نسأل الله العافية والسلامة- هذا ما يتعلق بالرب من علمه، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لجميع ما في هذه الدنيا فلا خالق سواه، والأدلة على هذا كثيرة للغاية يحصر سردها، من أراد التوسع في هذا الموضوع فعليه بكتاب «**شفاء العليل**» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، ونقل جزءً وافرًا منه الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «**معارج القبول**»، هذا ما يتعلق بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قد يقول العبد: ماذا بقي لي إذًا ما دامت الأمور قد علمها الله وكتبها وشاءها قبل أن نوجد، وهو يعلم سبحانه تفاصيل ذلك فما الذي بقي؟ قيل: بقي لك القسم الثاني أنت، إثبات ما يتعلق بالعبد.

❍ ما الذي يتعلق بالعبد؟!

إن القسم الأول لا يعطي العبد الحجة في ترك ما أوجب الله أو فعل ما حرم، القسم الأول هذا متعلق بالرب، آمنا وجزمنا وقطعنا أن الرب تعالى إليه الأمر لأن هذه أمور ربوبية، علمه، كتابته، مشيئته، خلقه هي مقتضى ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أيقع شيء في ملكوت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والله لم يشأه؟ حاشا لله من ذلك، أن يقع شيء في ملكوت الله والله لم يرد فأوقعه الإنسان نعوذ بالله، هذا من الشرك أن يقال، لكن لم يوقعه لحكمته البالغة كما هو حال المسلمين اليوم.

قد يقول القائل: لماذا المسلمون بهذا الحال سلط عليهم أوغاد الأرض من اليهود ومن الهندوس ومن النصارى، ويعمل بهم هذه الأعمال؟ يقال: لولا حلم الله الوافر السابغ لكانت أحوال الأمة أسوأ بكثير مما أنت تراه الآن، لكن ربك حليم، ربك عفو، أهذا حال يتعامل مع الله عَزَّوَجَلَّ به؟ هذا الحال الذي نحن فيه حال عبيد مع ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ متى وجد في المسلمين من يقال له قال الله فيقول

أقنعني؟ انتهى كلام الله هو الإقناع، ما بعد كلام الله كلام، متى وجد في المسلمين من يقال له ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه قال كذا، قال: أنا لا أقتنع بهذا الحديث عقلي يرده! لولا الحلم من رب العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، حال المسلمين مع الصلاة، أهو حال؟ لو لا حلم الله عز وعفوه ولطفه وسابغ كرمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لعجلوا بعقوبات أشد من الحاصلة، حال تبرج النساء، حال التعاملات الربوية، والمعاملات التي تسخط الله عَزَّ وَجَلَّ، حال الفواحش الموجودة ليس في بلاد الكفر الموجودة في بلاد المسلمين، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في خطبة الخسوف لما خطب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**والله يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو أن تزني أمته**» انظر ما يقع في أرض الله عَزَّ وَجَلَّ من الزنا على يد المسلمين، دع عنك من الكفار، فلو لا الحلم العظيم من رب العالمين لرأيت أحوالًا أسوأ بكثير، أهذا حال مع صلاة الفجر؟ الصلاة العظيمة التي تشهدها الملائكة، ثم في الأوقات التي يقصر فيها الليل يجد الأئمة في بعض الأحيان عنتًا من الانتظار حتى يصلي ورائهم ثلاثة أو أربعة في محلة فيها أعداد غفيرة من الناس، السيارات ملئى في الحارات والبيوت غاصة بأهلها، حلم رب العالمين سبحانه وعفوه ومنته وفضله، وإلا لرأيت الأهوال العظام من العقوبات، لكنه حليم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ويمد للعباد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لعلهم أن يرجعوا، نعم يكون حال الأمة على هذا الحال حتى تعود إلى ربها ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] لم يا رب العالمين؟ لا يقال لله لم، لكن يقال: ما الحكمة يا رب العالمين، فأراد ربك أن يخبرك بالأمر: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ والحكمة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم] فيعاقبون بمجموعة من العقوبات حتى تضيق بهم السبل ثم يقولون لا سبيل أمامنا إلا رب العالمين فنرجع إليه، نحن أخطأنا في كذا وكذا فيعودون إلى الله.

فلله الحكمة البالغة فيما يقدر، ولهذا لما قدر الله الهزيمة يوم أحد والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ موجود وحماه رب العالمين وخسئ الكفار أن يقتلوه ورب العالمين حماه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لكن حصل ما حصل ليعلم أن الله تعالى إذا عصي فقد يعاقب عقوبة تعم ويجد الناس من آثارها وتربية الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده عن هذه المعاصي، فلله أبلغ الحكم فيما يوقع من العقوبات، ولهذا قدّر تعالى الشر والخير، والشر لما يقدر عبثًا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن ذلك، ولهذا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**والشر ليس إليك**» ليس معناه ليس من تقديرك، لأ أي: أن الشر يا رب العالمين لم تقدره عبثًا، فهو منك تقديرًا؛ لكن معاذ الله أن يكون الله قدره عبثًا،

قدره الله تعالى لحكمة؛ ولهذا كثير من الناس تكون الأقدار الشديدة هي التي يفتح الله تعالى له بها أبواب التوفيق، كم من إنسان أصيب في نفسه بفاجعة أو في أهله أو في ماله فعاد لله عَزَّوَجَلَّ، وكف عن طغيان كثير كان مقدمًا عليه، وراجع حساباته مع رب العالمين فأناب وتاب؛ فصارت هذه العقوبة أحسن شيء قدر عليه؛ إذ لو ترك لمد في طغيانه وغيه حتى يهلك على ما هو عليه، فالفرق كبير جدًا في حكمة الله البالغة في توقيع الشر، ومع ذلك فإنه يقدره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بشيء عظيم من اللطف وعدم الأخذ المعاجل لم يستحق رحمة من الله وتفضلًا ومنة.

+القسم الثاني: المتعلق بالعبد، إذا علمنا أن الله علم وكتب وشاء وخلق، فليس معنى ذلك أن العبد صار خلوًا من المسؤولية له أن يفعل ما يشاء، وله أن يتخلى عن الطاعات التي أوجب الله، وله أن يقدم على المحرمات، العبد أمده الله تعالى بمشيئة وباستطاعة، وهو مآخذ له بحسب مشيئته واستطاعته في الدنيا وفي الآخرة، وثبتت للعبد المشيئة في أكثر من آية من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ [النبأ]، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير]، وجاءت الآيات في استطاعة العبد مثل قوله تعالى، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا... الحديث**» إذًا فللعبد استطاعة، وركز في مسألة القسم الثاني هذا على أمر مهم للغاية، وهو قسما عمل الإنسان، الإنسان له نوعان من الأفعال، أفعال العبد على نوعين اثنين:

- **النوع الأول**: الأفعال الاختيارية.
- **النوع الثاني**: الأفعال غير الاختيارية.

الأفعال الاختيارية في حياتك بالملايين لا يحيط بها إلا الله، كل لقمة تأكلها هذا اختيار منك، ومدك يدك حتى تصل إلى الإناء هذا اختيار، ثم أخذك مقدارًا معينًا من هذا الطعام اختيار، ثم رفعك هذا الطعام بيدك اختيار، ثم فتحك فمك هذا اختيار، ثم مضغك للطعام هذا اختيار، ثم بلعك هذا اختيار، وعلى هذا قس، كل خطوة تخطوها وتخطو في الدنيا ملايين الخطوات كل خطوة تخطوها اختيار منك، ومنه مجيئنا اليوم إلى هذا المسجد، نحن اليوم أتينا إلى موضع محدد في الرياض واتجهنا إلى هذا المسجد في وقت محدد اختيار، هذا معنى كون الأفعال اختيارية، فالله تعالى يحاسب العبد بحسب أفعاله الاختيارية؛ إن

خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

النوع الثاني من الأفعال هي الأفعال غير الاختيارية، فهذه لا يعاقب الله تعالى عليها العباد؛ لأنها خارجة عن إرادتهم، مثل لها أهل العلم بحركة المرتعش، المرتعش الذي أصيب في أعصابه ببلية لا يستطيع أن يتماسك جسمه أو بعض جسمه، مثل أن تتحرك يده دائمًا أو أن يتحرك جسمه بشكل مستديم، هذه الحركة مستديمة في حياته، يصلي وهو يتحرك منذ أن يكبر حتى يسلم، هل تبطل صلاته؟ لأ، لا تبطل، لو تحرك أحد عشر حركته في الصلاة لبطلت ممن عافاه الله، فإذا قال: تبطل صلاتي وهذا يتحرك منذ أن يكبر إلى أن يسلم؟ نقول: نعم حركته غير اختيارية، وحركتك أنت اختيارية أفسدت بها صلاتك، ومنه السقوط مثل لو سقط إنسان من موضع عالي، هذا السقوط على نوعين منه نوع اختياري، ومنه نوع غير اختياري، النوع الاختياري منه، مثل -والعياذ بالله- أن يصعد الإنسان إلى عمارة شاهقة فيقذف بنفسه عمدًا وعدوانًا حتى ينتحر حتى يموت فهذا انتحار، يؤاخذ به والله تعالى معاقب به، يأتي عامل من العمال في هذه العمارة يعمل في سطحها فتزل به قدمه فيسقط، هذا سقط من هذه العمارة وذاك سقط من هذه العمارة، الأول يعاقب والثاني لا يعاقب، واضح السبب ذاك فعله اختياري متعمد وهذا فعله غير اختياري زلة قدمه ويرجى أن يكون فيها كفارة له، أما ذاك فيعاقب والفعل واحد من حيث الظاهر هو واحد، موضع محدد سقط منه هذا الإنسان، فمات الأول ومات الثاني، الفرق أن هذا تعمد أن يقفز من هذا الموضع، وهذا زلت قدمه وهو يعمل ولم يشعر، إذًا الرب تعالى يؤاخذ الفعل الاختياري أما غير الاختياري فلا يؤاخذ به، وكل أحد عاقل يعرف الفرق بين الفعل الاختياري وغير الاختياري، كل عاقل يعرف ذلك، مثل ما قلنا في الأكل الشرب، حتى إن الإنسان إذا شبع قيل له كُل، قال: أنا شبعت، اختار أن يتوقف، وهكذا لو قيل له انزل إلى الموضع الفلاني يقول: لا، أنا لا أنزل.

إذًا فللعبد مشيئة وله استطاعة، لكن مشيئة جبار السَّمٰوات والأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي التي تنفذ، فقد تشاء الأمر فإذا لم يشأ الله أن يتم هذا الأمر لا يمكن أن يتم، أنت في ملكوت الله عَزَّوَجَلَّ وتحت أمره، نعم لك مشيئة، لك استطاعة، لك اختيار، لكن يستحيل أن تنفذ مشيئتك والله لا يريد أن تنفذ مشيئتك، ولهذا جاءت هذه الآية العظيمة الجامعة في موضع القدر، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ﴾ [الإنسان: ٣٠] الآية فيها أكثر من فائدة:

❍ **الفائدة الأولى**: إثبات مشيئتين أن للعبد مشيئة ولله مشيئة، لم يقل الله عَزَّوَجَلَّ ليس لكم مشيئة إنما المشيئة لي، قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ﴾ متى تكون مشيئتكم؟ إن الله عَزَّوَجَلَّ شاء، هذه الفائدة الأولى أن في الآية إثبات المشيئتين.

❍ **الفائدة الثانية**: وهي عظيمة أن مشيئة العبد لا يمكن أن تنفذ إلا إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن تنفذ، إما إن لم يشأ الله تعالى لها النفاذ فأنى لك أن تنفذ مشيئة والله عَزَّوَجَلَّ يمنعك منها، ولهذا يلاحظ الإنسان مثلًا يجهز متاعه ودابته للسفر، ثم يودع إخوانه ومن حوله ويتهيأ كامل التهيؤ للسفر وربما اتصل بأناس في بلد سيذهب إليهم، وجهز كل الأمور في البلاد التي سيقدم عليها وفي البلاد التي هو فيها، ثم يصادفه ناس قد صلى معهم الظهر وكان يريد السفر الصباح، ما عذرك؟ عذري واحد فقط أن الله لم يشأ، أنا شئت وأعددت كل شيء لكن لا يمكن أن تنفذ مشيئتي في ملكوت رب العالمين إلا إن شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهذا قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يخاطب رب العالمين معظمًا له في أمر المشيئة يقول: فما شئت -يعني يا رب- فما شئت كان وإن لم اشأ، وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن، فما شئت أي: يا رب العالمين عليَّ فما شئت كان، وإن لم أشأ أنا في أحد يشاء أن يصطدم بسيارته في أحد يشاء أنه يمرض ما في أحد يشاء، لكن إذا شاء الله هذا الأمر وقع وإلا ما شاءه، والشيء الذي أشاؤه أنا وأريده إن لم يشأه الله لا يمكن أن ينفذ فما شئت كان وإن لم أشأ، وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن سبحان رب العالمين، القادر على كل شيء.

فبذلك عرفنا أن العبد له في القسم الثاني إثبات ما يتعلق بالعبد أن للعبد مشيئة بها يؤاخذ وهكذا استطاعة؛ ولهذا إذا زالت المشيئة كما قلنا في القسم الثاني من الأفعال الاختيارية أو كان الإنسان غير مكلف شرعًا كالمجانين، فمهما قال ومهما سب ومهما شتم ومهما تلفظ بالألفاظ حتى في حق رب العالمين، رب العالمين لا يؤاخذه؛ لأمر سهل جدًا وهو أن رب العالمين -وهو الأعلم بهذا العبد المسكين- يعلم سبحانه وبحمده أن الذي عندك أنت أيها العاقل غير موجود عنده، وهو تعالى يقول: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] وهو أعلم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، يعلم أن هذا المسكين يتحدث وهو لا يدري ما يقول، فلا يؤاخذه مهما طال في السوء.

أما الذي عنده مشيئة وأمده الله بالسمع والبصر والعقل ومكّنه فهذا لا يكون مثل من سلبه الله تعالى

العقل، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ في بيان أمر هذه النعم وأن الله تعالى سائل عنها: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [النحل: ٧٨] لما ذكر الله تعالى السمع والبصر والفؤاد قال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] أنت مسؤول عن فؤادك عن قلبك وعن سمعك وعن بصرك، سيسألك الله، أما من سلب الفؤاد من هؤلاء المساكين لا يسألهم الله عَزَّوَجَلَّ، هذا ما يتعلق بالقسم الثاني المرتبط بالعبد.

أما الإيمان بالقسم الأول المرتبط بالرب لا تجعله سببًا لتعطيل ما يتعلق بك وإلا عبث بك الشيطان، هذا أمر تؤمن به ما يتعلق بالرب، وهذا أمر يتعلق بك أنت وقد امتحنت، وخلقت، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب للعباد؛ لأجل أن يعلموا، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك] فأنت في دار البلاء، دار الاختبار فيأتي الشيطان إلى العبد ليشغله عن الاختبار، ويقول ما يتعلق بالرب ويبدأ يحاول أن يوقف عمل العبد لأجل الإيمان بالقسم الأول، ولا شك أن هذا من الباطل الذي لا يحل للعبد، أي: ليس لك أن تضرب نصوص الكتاب كما سيأتي في الحديث، ليس لك أن تضرب نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، هذا مرتبط بالرب علمه كتابته مشيئته خلقه هذه لله عَزَّوَجَلَّ، لا تدري ما الله كتب لك، ولا تدري على أي حال ستكون في الآخرة، ما الذي جعل الله عَزَّوَجَلَّ وأرسل الرسل وأنزل الكتب في هذه الدنيا لتعمل: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤] يمتحنك الله تعالى بالعمل فيأتي الشيطان ليشغل الإنسان، قد كتب قد شيء إذًا لماذا أعمل؟ هذا الذي يريد عدوك، هذا القسم الثاني من النصوص.

❍ **القسم الثالث:** من النصوص الذي قلنا النهي والخوض عن الجدال الباطل في القدر، اختصم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة في القدر تناقشوا في «**اللالكائي**» ما يوضح هذا الخصام يقول الراوي: هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية فما معناه؟ أي: هذا يأخذ آية يستدل بها من القسم الأول، وهذا يستدل بآية من القسم الثاني، هذا النوع من النقاش خطر جدًا؛ لأنه يظهر القرآن كأن بعض آياته تناقض بعضًا معاذ الله من ذلك، أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكرم التلاميذ عند أكرم الأساتذة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمربين، اختصموا مرة واحدة فأدبهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يعودوا لها بعد ذلك، لما سمع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصامهم يقول الراوي: فخرج مغضبًا قد احمر وجهه كأنما يفقأ في وجهه حب الرمان -حب الرمان

أحمر، أي: اشتد احمرار وجهه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، وفي بعض الروايات أنه أخذ ترابًا فرماهم به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقال: «**مهلًا بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه** عَزَّوَجَلَّ» أي: ليس لكم أن تتناقشوا على هذا النوع وبهذه الطريقة التي تظهر كأن آيات القرآن معاذ الله فيها شيء من التعارض، ليس لأحد أن يناقش مثل هذه الطريقة، لكن مثل ما ذكرنا قبل قليل، هذا يتعلق بالرب نؤمن به، هذا يتعلق بالعبد نؤمن به، ولا تجعل هذه الأقسام يضرب بعضها ببعض.

وثبت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**أُخّر النزاع في القدر لشرار أمتي آخر الزمان**» يا له من حديث، أخر النزاع في القدر لشرار أمتي آخر الزمان، أخر النزاع دل على أنه لا يكون في الصحابة، لقوله «أخر النزاع»، وقوله: «آخر الزمان»، ودل الحديث أن المتنازعين في القدر هم والله شرار الأمة، أخر النزاع في القدر لشرار أمتي، ولهذا من أخبث طوائف أهل البدع طائفة القدرية وطائفة الجبرية، طائفة الجبرية ركزوا على القسم الأول المتعلق بالرب، وزعموا أنهم يعظمون الرب فيثبتون ما يتعلق به فنفوا ما يتعلق بالعبد، فصار العبد كأنه مجبور، وانفتح باب خطير جدًا للعبث بالشريعة حاصله معذرة الزاني والقاتل والسارق وهذا مناقض مناقضة تامة لنصوص القرآن والسنة ولإجماع جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام بأن العباد مؤاخذون في الدنيا وفي الآخرة بما يعلمون.

❍ **القسم الثاني من الطوائف الخبيثة:** الطائفة القدرية الأوائل وورثتهم من خبثاء المعتزلة وهم الذين ركزوا على القسم المتعلق بالعبد من جهة مسؤوليته ومشيئته، وأغفلوا القسم المتعلق بالرب، هذا معنى كون هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية هذا يركز على نص معين يريد أن يقرره ليبطل به النص الثاني ولا شك أن هذا لا يجوز هذا النوع؛ لأن القرآن كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن القرآن لمن ينزل ليكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا**»، فالآيات المتعلقة بالرب نؤمن بها، هذه مرتبطة بالرب وربوبيته، الآيات المتعلقة بالعبد هذه متعلقة بمسؤولية العبد، أي تعارض بين هذه الآيات وهذه الآيات، لا تعارض، الآيات هذه تقرر ما يتعلق بالرب، والآيات هذه تقرر ما يتعلق بالعبد، فلا تعارض، ولهذا قلنا النوع الثالث من النصوص النهي عن النزاع والجدال الباطل في القادر.

إذا عرفت هذه الأقسام بعد ذلك إن شاء الله بعد الصلاة نتحدث -بحول الله عَزَّوَجَلَّ- عن شرح هذه

النصوص، وبه تعرف كل ما أتى إلى نص ستقول هذا في القسم الأول، ثم تأتي إلى قسم آخر فتقول هذا في القسم الثاني وتضح إن شاء الله تعالى الصورة لك، وتتجلى عن بصيرة وعلم إن شاء الله.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).



(١) نهاية المجلس الثاني.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

نذكر الآن إن شاء الله تعالى النصوص التي أورد المصنف رحمة الله تعالى عليه، وقلنا إن النصوص الواردة في القدر على الأقسام الثلاثة التي ذكرنا، هنا من وفق للتعامل مع نصوص القدر على هذا الحد الذي ذكرنا فإنه يرزق أمرًا لا يكاد لا يوجد إلا لمن آمن بالقدر، وهو أن الله تعالى يجعله أشرح الناس صدرًا، وأرضاهم بقدره عَزَّوَجَلَّ، فما يصيبه من مصيبة إلا وهو يعود بالأمر على نفسه كما قال بعض السلف: «ما أصبتني من مصيبة إلا وقلت: أعلم أن الله تعالى لم يظلمني وأن هذا بسبب مني»، فيعود الأمر إلى نفسه، فتجد المصيبة والبلية تزيده رفعة، وإذا أوتي من نعم الله عَزَّوَجَلَّ ما أوتي نسبها إلى الله وحمد الله وشكر.

ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأن المؤمن بيانًا لكون أمره عجب: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» هذا من آثار الإيمان بالقدر، فهو يشكر لجزمه أن هذا من الله، ويصبر لجزمه أن هذا من الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] قال ابن مسعود وعلقمة، واشتهر عن علقة هو وأصله عن ابن مسعود شيخ علقمة قال: هو المؤمن يصيبه المصيبات فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم.

ولهذا كان للإيمان بالقدر آثار عظيمة؛ من أعظمها تسلية المؤمن ورضاه بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره، وإظهار ذلك جليًا في فرق تحمل المؤمن للمصائب التي يقدرها الله عَزَّوَجَلَّ مع إذا قُرن بغيره مما لا يقر بالقدر من أهل الكفر وغيرهم ممن تنشأ فيهم هذه والعياذ بالله الأدواء الهائلة من عذاب الله في الدنيا قبل عذاب الآخرة من أنواع الأزمان النفسية، وعدم الرضا عن الحياة كلها، والمسارعة إلى الانتحار ونحو ذلك مما يقع في بلاد الكفر، هؤلاء لا يؤمنون بقدر الله.

أما المؤمن ففي بعض الأحيان يجلس نحوًا من ثلاثين سنة على فراشه وتجده من أرضى الناس قلبًا

ومن أكثرهم حمدًا وشكرًا، وإذا أتيت إليه وقد أصابته مصيبة وقد انقبض قلبك وحزنت على ما فيه وإذا به أشرح صدرًا منك أنت يا من لم تصب، هذا الفرق معونة من رب العالمين سبحانه، وقد جاء أن عمران رضي الله عنه استسقى بطنه ثلاثين عامًا رضي الله عنه، وهذا من الأمور التي تعين المؤمن في هذه الحياة وما يقع فيها، قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد]، فهذه دار لا بُدَّ فيها من الأنكاد، ولا بُدَّ فيها من المصائب والبليات، فالموفق للإيمان بالقدر يجد من الثبات، ويجد من حسن التعامل مع ما قدره الله عز وجل شيئًا عظيمًا يثبت الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم: «**وليس ذلك إلا للمؤمن**» هذا لا يقع لأي أحد، إنما يقع ذلك لمن وفق للإيمان.

❍ **أما من ضرب النصوص بعضها ببعض،** أو آمن ببعض من النصوص كالقسم الأول وأبى الثاني أو بالعكس فإن هؤلاء لا يوفقون، وهم من أهل البدع والضلالات، وحكم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «**أخر النزاع في القدر لشرار أمتي**»؛ فهؤلاء هم الأشرار والله، وهم أهل البلاء أهل المناقشات العقيمة والكلام الفارغ في مثل هذه المسائل التي لا تزيد الناس إلا تشككًا واضطرابًا.

أما إذا أُخذ القدر من النصوص على الذي ذكرنا، وعلى منهج أهل السنة والجماعة فإن القدر يكون من أسهل الأبواب، بل هو من أعظم الأبواب التي ينطلق بها المؤمن -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- للعمل كما سيأتي في الحديث أن عليًا رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره بالقدر وأنه مكتوب قال: ما كنت أشد اجتهادًا مني الآن، أي: أن القدر يدفع للعمل لا يدفع للكف على العكس، الذي يفهم القدر فهمًا سويا يعلم أن القدر دافع للعمل لأنه لا يمكن -كما سيأتي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأحاديث الآتية- ما يمكن أن تصل بعد رحمة الله إلا بعمل.

۞ **قال المؤلف:** «قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾ **[الأنبياء]**».

هذا بيان لكون الذين نجوا قد كتبت لهم السعادة من قبل الله عز وجل، كما دل عليه:

۞ **قال المؤلف:** «قوله: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾».

فقد كتبت وسبقت.

❁ **قال المؤلف:** «قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب]».

ما قدر وقضي.

❁ **قال المؤلف:** «قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات]».

هذا فيه بيان مرتبة الخلق، وفيه بيان أن الله تعالى خلقنا وخلق أعمالنا، أي: أنت إذا أردت أن تأخذ هذا الكأس، أنت مخلوق عملك حركتك هذه لو لم تخلق لك لما استطعت أن تمد يدك، فالله خلقك وخلق علمك، تريد البيان انظر إلى الذي شلت يده، لم يخلق الله عَزَّوَجَلَّ فيه هذه الحركة، لو يريد أن يرفع يده ما يستطيع؛ لأنه لا يمكن أن يعمل حتى تخلق له الحركة، ولهذا ربك خلاق، وهو سبحانه خلاق جميع هذه الأعمال تخلق للعباد، فمدك يدك هكذا لتأخذ الكأس، أنت مخلوق هذه الحركة تخلق لك، ولو شاء الله عَزَّوَجَلَّ لشلت يمينك فلما استطعت أن ترفعها، ولا ما قدرت ولهذا جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه رجلًا عنده شرب بشماله فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اشرب بيمينك**» فقال: لا أستطيع، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا استطعت**» يقول الراوي: فما رفعها إليه شلت يده، كان قبل ذلك قادرًا، فقضى الله عَزَّوَجَلَّ لما عمل هذا العمل الذي هو موضع الكبر بأن يشرب بالشمال قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا استطعت**»، دعا عليه لما دعا عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلت دعوته، فمنع الله تعالى يده عن أن تعمل فالله خلقك وخلق أعمالك، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات].

❁ **قال المؤلف:** «قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر]».

ثم ذكر حديث ابن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**إنّ الله قدّر مقادير الخلائِق قبل أنْ يخلق السّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**» سيأتي الكلام إن شاء الله على أنواع التقادير.

❁ **قال المؤلف:** «قال: «وعرشه على الماء»».

فدل هذا الحديث على أن العرش سابق للقلم؛ لأن يأتينا حديث «**أول ما خلق الله القلم قال اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء فجرى في تلك الساعة بما هو كائن**» هنا يقول إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، انتهى هذا قال: «**وعرشه على الماء**» فدل على أن العرش قبل أن يكتب القلم.

ثم ذكر هذا الحديث العظيم الذي فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحدثهم بأمر القدر ويشرحه لهم شرح القدر وبيانه جزء من العقيدة مثل ما نشرح اليوم الآخر والملائكة، فلا بُدَّ للناس من ذلك، لأن في الحديث: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر**» لا بُدَّ أن يعرف الناس كيف يؤمنون بالقدر كما شرحنا في القسم السابق.

❁ قال المؤلف: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النّارِ ومقعده من الجَنَّةِ».

الله تعالى قد علم من هم أهل الجنة، ومن هم أهل النار، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأجزل الله لهم المثوبة ورفع درجاتهم في المهديين سألوا هذا السؤال العظيم الذي يدور في النفوس، ما دمنا قد كتبت مقاعدنا: أفلا نتكل على كتابِنا وندع العمل؟! ما دام العبد الآن معلوم أن فلانًا هذا يعلم الله أنه من أهل الجنة، وأن فلانًا هذا يعلم الله أنه من أهل النار، أفلا نتكل على الكتاب الذي كتب للواحد منا وندع العمل، ما معنى الكلام هذا؟ ما دمنا صائرين إلى الدار الآخرة وقد كتب مقعد كل واحد منا من الجنة أو مقعده من النار، لم لا نتكل على السابق وندع العمل؟ السؤال هذا ما مقتضاه؟ مقتضاه أن -وهو يدور في النفوس كثيرًا- أن مادامت الأمور قد قضيت من قبل الرب عَزَّوَجَلَّ هل يعطل ذلك القسم الثاني وهو أعمالنا؟ هل معنى ذلك أنا إذا علمنا أن المقاعد قد كتبت من الجنة والنار بقي الآن أمر العمل، ربنا يعلم من هو منا من أهل الجنة، ومن هو من أهل النار أفلا نترك العمل بناء على أن الله تعالى قد قدر كل شيء؟ فأجاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجواب لم ولن ولا يمكن أن يوجد جواب يحسم النقاش في مسألة القدر أقوى من هذا الجواب؛ لأنه جواب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ماذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سألوا هذا السؤال؟ ما عنفهم، وما قال مثل ما قال للأعرابي: ويحكم، هذا سؤال يدور في النفوس يحتاج إلى جواب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعملوا**» فأكد على أمر القسم الثاني الذي قلنا وهو إثبات ما يتعلق بالعبد، وكون الأمور مضت من عند الله عَزَّوَجَلَّ هذا أمر ما تدري ما الله تعالى قد كتب لك، ولا تدري ما الذي ستصير إليه، الذي أنت مسئول عنه هو العمل، «**اعملوا**»، ثم بين حقيقة الأمر «**فكلٌّ ميسّر لما خلِق له؛ أمّا من كان من أهل السّعادةِ فسييسّر لِعمل أهل السّعادة**» أهل السعادة في الآخرة أعمالهم في الدنيا هي أعمال أهل السعادة من صلاة وبر وتقوى وإيمان، هذا درب يوصل برحمة الله عَزَّوَجَلَّ إلى الجنة، ولن يوصل الكفر والفجور وتكذيب أمر رب العالمين لن يوصل أحدًا إلى الجنة، هذا درب يوصل إلى النار.

فأمامك الآن محجتان دربان، درب يوصل إلى الجنة، ودرب يوصل إلى النار، عليك بلزوم طريق الجنة وأحسن بالله الظن وارجوا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلك في المهديين الفائزين، واسلك هذا السبيل، وتجنب السبيل الثاني؛ لأن الله كما قلنا جعل لك مشيئة وجعل لك استطاعة، فاحذر الدرب الثاني، والزم الدرب الأول وأحسن بالله الظن، واتكل عليه، وأحسن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الظن لتصل بعد رحمته إلى الجنة، ولهذا:

۞ قال المؤلف: «قال: أمّا من كان من أهل السّعادةِ فسييسّر لِعمل أهل السعادة، وأمّا من كان من أهل الشَّقاوةِ فسييسّر لِعمل أهل الشّقاوة».

ثم بيَّن الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾» [الليل] هذه الأمور إلى أين توصل بعد رحمة الله؟ توصل إلى الجنة، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ وعد إلهي لا يتخلف، أعطى، واتقى، وصدق بالحسنى، وعد من رب العالمين ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ وضده: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ هل يطمع هذا في الجنة؟ هذا درب سيوصل إلى النار ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ وعد إلهي ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠].

ثم ذكر حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من الأحاديث التي جاءت فيها آثار كثيرة، أن الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حين خلق آدم مسح ظهره بيمينه أي: مسح الرب ظهر آدم بيمينه تبارك وتعالى «**فاستخرج منه ذرية فقال: خلقْت هؤلاء للجنّةِ وبعمل أهل الجَنَّةِ يعملون**» لاحظ العبارة، أن المخلوقين للجنة بفضل الله ومنته وتوفيقه يعملون بعمل أهل الجنة.

۞ قال المؤلف: «ثمّ مسح ظهره فاستخْرج منه ذرِّية فقال: خلقت هؤلاء للنّار».

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] مخلوقون لها عياذًا بالله، «**وبعمل أهلِ النّار يعملون**»، فقال رجلٌ: يا رسول الله ففيم العمل؟ إذًا لماذا نعمل ما دامت المقاعد من الجنة أو النار قد كتبت؟ قال: «**إنّ الله إذا خلق العبد للجنّةِ استعمله بعمل أهل الجَنَّةِ**» الموفق المكتوب له الجنة يوفقه الله عَزَّوَجَلَّ ليعمل عمل أهل الجنة، «**حتّى يموت على عمل من أعمال أهل الجَنَّةِ فيدخله به الجَنَّة**»، أي: أن الله تعالى يقبض العبد على هذا الحال، وثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

أنه قال: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»، فمن ختم له بخاتمة حسنة فإنه يكون إليها بعد رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ومن ختم له -والعياذ بالله- بخاتمة السوء فإنه يلقى الله تعالى بها، ولهذا دائمًا يحذر من الخواتيم.

❍ **عندنا أمور من الخواتيم تتكرر عندنا كل ليلة**، وهي خاتمة النوم، النوم كما جاء في الحديث: «**النوم الموتة الصغرى**» النوم نوع موت، قد تقبض الروح والإنسان نائم، فالذي هيأ نفسه ليصلي الفجر ويقيم الليل لو مات لكان آخر عمل ختم به حياته أنه قد تهيأ لهذه الصلاة، والذي جعل المنبه على الساعة السابعة وهو يعلم أن أذان الفجر قبلها بكثير، قد ختم له بأنه لن يصلي الفجر في وقتها؛ لهذا أمر الخاتمة له شأن كبير، ومن الخواتيم التي تتكرر للعباد ما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، ولهذا يحذر من أمر الخاتمة السيئة -نسأل الله العافية-، لا نقول فقط في الليل، دائمًا الإنسان قد يقبض حتى في أي لحظة من لحظات النهار، لكن هذا الأمر متكرر، والله المستعان.

❁ **قال المؤلف: «إذا خلق العبد للجنّةِ استعمله بعمل أهل الجَنَّةِ حتّى يموت على عمل من أعمال أهل الجَنَّةِ فيدخله به الجَنَّة، وإذا خلق العبد للنّارِ استعمله بعمل أهل النّار حتّى يموت على عمل من أعمال أهل النّار فيدخله النّار».**

ثم ذكر الحديث أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سئل: أبتدأ الأعمال أم قد قضِي القضاء؟ فأجاب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن الله تعالى: «**لماّ أخرج ذرِّيّة آدم من ظهرِهِ أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفّيهِ، فقال: هؤلاءِ للجنّةِ وهؤلاءِ للنارِ، فأهل الجَنَّة ميسّرون لعمل أهل الجَنَّةِ وأهل النّار ميسّرون لعمل أهل النّار**».

ثم ذكر الحديث المشهور عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق، صادق هو ومصدق من قبل أهل الإيمان: «**إنّ أحدكم يجمع خلْقُه في بطنِ أمِّه أربعين يوما نطفة**»، إذا كتب الله تعالى أن يوجد هذا المخلوق فإنه يكون في الرحم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ مدة أربعين يومًا نطفة، من آثار المني الذي قذف في رحم المرأة، أربعين يومًا نطفة، ماذا يكون بعد ذلك؟ يعلق يتعلق يكون، «**ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون**» بأمر الله عَزَّوَجَلَّ: «**مضغة**»، مضغة من لحم «**مثل ذلك**».

وهذه أيها الإخوة!! مع إيمان المؤمنين التام بها، وجزمهم بها الذي لايتزعزع قد ثبتت حتى عند أهل الكفر ممن تأملوا أمر الجنين فهذا الحديث والآيات الواردة في الجنين من أظهر الأدلة على أن في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ مواضع وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مواضع من الغيب الذي لم يطلع الله عَزَّوَجَلَّ عليه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بيانًا لصدقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإقامة لحجة الله عَزَّوَجَلَّ على العباد، فهذه ثابتة لا يتشكك فيها مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا ملحد، أن هذه هي أطوار الجنين بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، قال: «**ثمّ يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات**»، بعد كم؟ بعد مائة وعشرين يومًا، أربعون، وأربعون، وأربعون، هذه مائة وعشرون «**فيكتب عمله وأجله ورِزقه وشقِي أو سعيد**»، العمل الذي سيعمله في الدنيا والأجل الذي سيكون في مدة حياته، والرزق هذا أيضًا مكتوب، وأمر شقاوته أو سعادته، ثم بعد ذلك بعد هذه المدة.

قال المؤلف: «ثمّ ينفخ فيه الروح، فوالّذي لا إلٰه غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجَنَّة حتّى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب».

أي: السابق.

قال المؤلف: «فيعمل بعمل أهل النّار فيدخلها».

أي: أن أجله السابق لا بُدَّ أن يدركه، حتى إن بعضهم ليعمل بعمل أهل الجنة مدة حياته ثم لما كان من أهل النار فإنه يصير إليها.

قال المؤلف: «وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النّار حتّى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجَنَّة فيدخلها».

وكل هذا مشاهد، أن يبقى أناس مدة طويلة على الإسلام ثم -نعوذ بالله من حال أهل النار- ينتكس الواحد منهم فيكفر، ويموت على الكفر جزمًا، وعكسه من يعيش مدة تبلغ بعض الأحيان كما في واقعة قريبة جدًا حصلت من أحد النصارى بقيت تسعين سنة على النصرانية ثم أسلم بعد هذا العمر، فيوجد من يعيشون سنوات طويلة على حال ثم يتغيرون، ولهذا يكثر المؤمن من هذا الدعاء: «**اللّهمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»، يسال الله تعالى أن يثبته وأن لا يزيغه، وهذا من أسباب أن يثبت بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، هذا بعينه سبب من أسباب ثباته.

جاء في بعض الروايات: «**أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**» فيما يبدوا ويظهر للناس أنه من يعمل بعمل أهل الجنة، لكنه -عياذًا بالله- ليس من أهل الجنة، وهكذا يعمل الكافر الرجل بعمل أهل النار فيما يبدوا للناس لكن عاقبته عند الله تعالى، والمؤمن يحسن ظنه بربه، ومن نعمة الله ومنته وجليل فضله وإحسانه أن الذي يلزم السنة ويكون عليها عن علم وبصيرة يندر جدًا -إن لم يعدم- كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يوجد في علماء السنة فضلًا عن صالحي عامتهم من ينتقل عن السنة، وهذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ ومن بركة لزوم السنة لمن أراد الله له النجاة، قد يبدوا أناس على حال من الخير والاستقامة والظاهر منهم السنة، لكن ما الذي يدريك ببواطنهم؟ ما الذي يدريك بدخائلهم التي لا يحيط بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ؟

حدثنا بعض مشايخنا رحمهم الله عن هذا الذي ارتد عبد الله القاسمي أنه كان أثناء دراسته وهو في سن طلبه كان يتمنع على النص -منذ شبابه-، إذا أتاه نص من النصوص لا يقول سمعنا وأطعنا، كان يتمنع على النص، وكان عنده شيء من التعنت فكانت العاقبة -نعوذ بالله من الزيغ والضلال- أن ارتد في آخر عمره ارتدادًا ظاهرًا، كتب مصنفات قبيحة في هذا، الذين سبروا أمره حين كان يدرس لما وقع منه ما وقع ذكروا تلك الدخيلة الموجودة في نفسه، لا شك أن كون الإنسان يتعنت على النصوص ولا يسهل له انقيادها هذا يدل على خبيئة قذرة في نفسه، وعلى أمر يحيط به رب العالمين وإن لم يحط به الخلق، وعلى أن عند هذا العبد نوعًا يعلمه علام الخفيات سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الذي يخرج الخبء في السَّمٰوات والأرض، يعلم منه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خبيئة سوء، وإن كان الظاهر منه عكس ذلك، فالحاصل أن كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واحذر كمائن نفسك»، النفس بعض الأحيان تكون لها كمين، من تصيد بهذا الكمين؟ تصيدك أنت، كمائن جمع كمين

واحذر كمائن نفسك اللاتي متى ... خرجت عليك كسرت كسر مهان

كمائن لنفسك نسأل الله العافية والسلامة، ولا سيما في مسائل السرائر فيما بين العبد وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

واحذر كمائن نفسك اللاتي متى ... خرجت عليك كسرت كسر مهان

فصرعت صرعة من غدا متلبطًا ... وسط العرين ممزق اللحمان

ولهذا عندك قناعات، وعندنا قناعات، وعند العجم قناعات، وعند العرب قناعات، وعند أهل المشرق قناعات، وعند أهل المغرب قناعات هذا أمر معروف، هذه القناعات إذا جاء نص من النصوص

فإنها يضرب بها عرض الحائط هكذا المؤمن، يكون عند الناس قناعات معينة، يكون عندهم أعراف معينة عاشوا عليها هم وآباؤهم وأجدادهم فإذا جاء نص محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهت قناعاتنا هذه وعلمنا أنها خطأ، من كان موفقًا لمثل هذا فبإذن الله تعالى سيكون من الثابتين، أما من كان يريد أن يسلم قناعاته ويقصي النص إذا كان العربي سيقصي النصوص لقناعاته، والتركي سيقصي النصوص لقناعاته، والرومي سيقصي النصوص لقناعاته، من المسلمين أقصد، والإفريقي سيقصيها لقناعاته، والفارسي سيقصيها لقناعاته، ماذا سيبقى من معنى الانقياد لله ورسوله إذا كانت هذه الأفواج وهذه الشعوب كل أحد يقصي النص، لا نعود على قناعاتنا هذه ونقول هي قناعات خاطئة باطلة نحمد الله أن أدركتنا النصوص وعلمنا أنها خطأ لنبرأ إلى الله منها، ونعمل النص، من وفق لمثل هذا في حياته في جانب الاعتقاد في جانب الأعمال في جانب الأعراف؛ لأن ثمة أعرافًا كثيرة يجري عليها الناس سنين فيأتي حكم بضدها ولا يستغرب؛ لأن هذه الأعراف وهذه القناعات كثير منها باطل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فالحق لا يخضع للباطل بل إذا جاءنا الحق وهو النص وكان عندنا شيء على خلاف هذا الحق جزمنا على أن ما كان عندنا باطل، فرميناه عرض الحائض وحمدنا الله تعالى أن طهرنا وزكانا ولزمنا النص، كما قال إبراهيم بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -وقد قضى بقضاء فلما قضى بهذا القضاء كان قاضيًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أخبر بحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خلاف ما قضى-، فقال له بعض الحاضرين عنده: أنت أمضي قضائك في هذه المسألة لأنك قاضيًا مجتهد، وإذا أتتك قضايا مثلها فإنك تحكم فيها بالنص، قال: أرد قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقضاء سعد بن أم سعد، بل أرد قضاء سعد بن أم سعد لحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هكذا يكون الوضع السوي الصحيح أن الشيء إذا أتاك فإنك تلزمه.

إذا علم الله تعالى منك هذا التعظيم لأمره تبارك وتعالى فإن رب العالمين الذي ينبغي أن تحسن به الظن يثبتك بحوله ومنته ويتولاك.

❁ **قال المؤلف: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش به، ورجله التي يمشي عليه، وإن استعاذني لأعيذنه...»** إلى آخر الحديث.

فيه توفيق الله عَزَّوَجَلَّ لهذا العبد بأن يمضي على نهج سوي، أما الذي يجلس كأنه يخاصم الله، ولهذا سمى أهل العلم القدرية سماهم بخصوم الله عَزَّوَجَلَّ، وجاء في بعض الآثار: أن الله تبارك وتعالى أنه يوم القيامة ينادى أهل القدر هم أهل المنازعة لله في قدره، أنه ينادى في القيامة: ليقم خصماء الله للحرب، من هم؟ القدرية وتدعى خصوم الله يوم معادها إلى الله طرًا معشر القدرية، فالمؤمن يلزم حكم الله عَزَّوَجَلَّ في قوله وفعله، ويلزم هذه النصوص في مسائل اعتقاده وغيرها ويمضي أمره على وفق هذا، ولا يغير هذه النصوص بهوى نفسه وإلا فما أبعده عن السنة.

۞ قال المؤلف: «وعن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أو سعيدٌ؟ فيكتبان، فيقول: يا رب أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تُطْوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص».

هذا سيأتي إن شاء الله تعالى الكلام عليه وعلى الجمع بينه وبين حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جميعًا.

وفي الحديث أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما مات غلام من الأنصار صغير -لم يبلغ- قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طوبى له، عصفورٌ من عصافير الجَنَّة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرضى منها الجزم هكذا بأنه من أهل الجنة قال: «**أو غير ذلك يا عائشة! إنّ الله خلق للجنةِ أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**» جاء في الحديث أن أبناء المسلمين في الجنة -كما ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث سمرة-، لكن هذا الجزم بكل شخص معين، بل جاء أن هؤلاء الأفراط ليسوا ناجين فقط، بل جاء أنهم يشفعون لآبائهم ممن يدخل النار، لكن الجزم هذا بأن مات مثلًا ابن فلان هذا من أهل الجنة لا يصلح هذا الأمر، يحال الأمر إلى رب العالمين، ويُتأدب مع الله هذا الأدب.

۞ قال المؤلف: «وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كلّ شيء بقدرٍ حتى العجز والكيس».

العجز: ضد الكيس، **الكيس** أي: يكون الإنسان على اهتمام وعلى حرص، هذا مقدر، عكسه العجز، هذا أيضًا مقدر، كل شيئًا بقدر، قال حتى العجز والكيس، وهذا يدخل فيه كل شيء، الشخص الكيس الموفق المسدد المعان على أموره هذا بقدر الله، وكذلك العجز أيضًا بقدر الله.

ثم ذكر حديث قتادة في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾ [القدر] قال: يقْضى فيها، أي: في ليلة القدر، يقضى فيها ما يكون في السّنة إلى مثلها، أي: أن ثمة تقديرًا سنويًا هذا المراد، في ليلة القدر، الله عَزَّوَجَلَّ سماها ليلة القدر، ما المراد بالقدر؟ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن كان المراد بالقدر الشرف والمكانة؛ لكن لا ينبغي أن يفهم أن هذا معناه فقط، نعم لها قدر وشرف ومكانة، لكن يراد بالقدر أيضًا التقدير، بدليل ما قال الله تعالى في سورة الدخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ [الدخان] ففي ليلة القدر تكتب آجال العباد إلى السنة القادمة من مثلها في ليلة القدر، فالذين قضى الله أن يتوفوا هذه السنة قد كتب في ليلة القدر العام الماضي أنهم لن يدركوا رمضان، ولهذا لا يدركون رمضان؛ لأن الله قد كتب في ليلة القدر آجال الناس وأرزاقهم إلى مثلها، الذي يصل إلى رمضان معناه أنه لم يكن في الموتى، يكتب له في رمضان القادم ما يكون إلى مثلها، فإن مد الله في عمره أدرك رمضان الذي بعده، وإن كان دون ذلك وهكذا حتى يتوفاه الله عَزَّوَجَلَّ.

❍ **ثم ذكر الحديث الذي فيه:** إن الله خلق لوحا محفوظًا من درة بيضاء... الخ، والحديث فيه مقال، لكن لا شك أن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرَّحمٰن] يدل على ما ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى من شأنه تعالى في قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ هذا فيه دلالة على أن الله تعالى يقدر أمورًا يومية يجيب سائلًا، يشفي مريضًا، يحيي، يميت، يعز، يذل، هذا بشكل دائم سبحانه وبحمده، وهذا يدل على التقدير اليومي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «**شفاء العليل**»: لما ذكر هذه الأحاديث، الآن متى تقدر الأمور هل هي كل سنة؟ أو تقدر بعد مضي مائة وعشرين يومًا كما في حديث ابن مسعود، أو تقدر بعد أربعين أو خمس وأربعين كما في حديث حذيفة، أو قدرت لما خلق الله تعالى آدم ومسح ظهره وبين من يكون من ذريته من أهل الجنة ومن يكون من أهل النار، أو في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة؟ هذه لا تعارض بينها كما نقل هنا عن ابن القيم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا تقدير يومي، ما المراد به؟ ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾، هذا تقدير يومي، والذي قبله الوارد في سورة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر] ليلة القدر قلنا يراد بها الليلة التي لها الشرف وفيها التقدير كما في آية سورة الدخان: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان] هذا الأمر سنوي، والذي قبله تقدير عمرِي عند تعلقِ النفس به، ما هو؟ حديث ابن مسعود عند تعلق النفس به مضي مائة وعشرين يومًا حين تنفخ فيه الروح، والذي قبله هو حديث حذيفة بن أسيد الذي فيه أنه بعد أربعين أو خمسة وأربعين يومًا عند أول تخليقِهِ وكونِهِ مضغة، والذي قبله في حديث مسح ظهر آدم تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السَّمٰوات والأرض، بعد خلق السَّمٰوات والأرض خلق الله تعالى آدم ومسح ظهره وكتب من ذريته من يكون من أهل الجنة، ومن يكون من أهل النار، والذي قبله هو حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض»، والذي قبله تقدير سابق على خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة.

❍ **انتبه هنا!!** وكلّ واحدٍ من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السّابقِ، التقدير الأصل الأول: إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، فكتب الله المقادير، بعد أن خلق آدم كتب الله ما يتعلق بالذرية، هذا التقدير لا يعارض التقدير الأول بل هذا تقدير وهذا تقدير، ثم التقدير السنوي الذي يكون في ليلة القدر أيضًا تقدير آخر ولا يعارض التقديرين قبله، والتقديرين الذي في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في وقوع هذا الكتاب عن الرزق والأجل وغيره بعد مائة وعشرين يومًا أيضًا تقدير آخر، حديث حذيفة بن أسيد تقدير خامس، وكل واحد من هذه التقادير مطابق للتقادير السابقة، لكن هذا تقدير حولي أي: سنوي، وهذا تقدير يومي، وهذا تقدير يتعلق بالعبد نفسه بعد ما تمر المضغة بأربعين أو خمس وأربعين يومًا، ثم تقدير بعد أن تنفخ فيه الروح، وتقدير بعد ما خلق الله آدم لكن بعد ما خلق السَّمٰوات والأرض، وتقدير قبل خلق السَّمٰوات والأرض وهو الأساس وهو الأصل، فكل هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق. وفي ذلك دليلٌ على كمال علم الرّبِّ وقدرتِهِ وحِكمتِهِ.

ثم قال: هذه الأحاديث دالة على أن القدر السابق لا يمنع العمل، كما بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، العمل مرتبط بك، والتقدير مرتبط بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا تجعل هذا مصادمًا لهذا.

العلم متعلق بك بتطبيق الشرع، والقدر متعلق بالرب سبحانه بما قضى وقدر من حكمته البالغة، فلا تجعل مصادمة بين القدر والشرع، القدر لا يمنعك من أن تعمل، بل القدر كما سيأتي هو من أعظم ما

يدفعك إلى أن تعمل؛ لهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام لا يزال لابن القيم: **(أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجدّ والاجتهاد)**، ما دمت قد علمت أن الأمر في الجنة والنار قد جعل الله تعالى الابتلاء التي أنت متعلق به بما أنت فيه الآن، أمامك سنوات ومضى من عمرك سنوات وستلقى الله تعالى، الذي مضى لا شأن لك به، ولا تستطيع أن تغيره، والذي سيستقبلك ستراه، أنت في الدار التي أمرت فيها بالعمل، فاحذر من وساوس الشيطان بأن يجعلك تركز على ما سبق وتترك العمل، أو تقول الذي قد كتب لي انتظر حتى ألقاه ولا شأن لي بالعمل، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر أن هذا ليس بصواب وأمر بالعمل، ولهذا لما سأل عدي ﷺ قال: أخبرنا يا رسول الله كأنا ولدنا الآن كأنا صبيان صغار، ما نعرف شيء في أمر القدر، هل القدر فيما مضى جرت به المقادير وجفت به الأقلام، أو فيما يستقبل أي: لم يكتب لنا شيء؟ قال: بل بما جرت به الأقلام وجفت به الصحف، قال: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا**» في لفظ آخر من حديث عمر: «**لن يدرك ذلك إلا بعمل**» و هذا مهم هذا اللفظ، لن يدرك الأمر متعلق بالجنة بعد رحمة الله إلا بعمل، فماذا قال هذا الصحابي الفقيه؟ ما قال سأترك العمل، قال: ما كنت أشد اجتهادًا مني الآن، الآن سيشتد اجتهاد، لأن الأمر السابق متعلق بالله، والأمر المتعلق بالمصير في الآخرة مرتبط بالله، ما المتعلق بي أنا؟ العمل، إذًا اتكل على ربي وأعمل، ولا أشتغل بما مضى لأنه ليس لي قد انتهى وفرغ منه، ولا أجعل المستقبل الذي لا بُدَّ أن نصل إليه في الجنة أو النار لا أجعله مانعًا لي من العمل.

❍ **إذًا ما الذي أنا مبتلى به ومأمور به؟** العمل، يقول: سأشتد اجتهادًا هذا الفهم السوي الصحيح أن القدر يدفع للعمل أصلًا، ولا يكون القدر مانعًا عن العمل بأن يقول الإنسان: إذًا لماذا أعمل؟! هذا لا يفعله إلا الكذابون بنص القرآن، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨] وفي قراءة: ﴿كذلك كذَب الذين من قبلهم﴾ الذي يريد أن يستدل بالقدر على إبطال الشرع هذا كاذب، كاذب أولًا لأن هذا على خلاف أمر الله، والأمر الآخر إن كان جازمًا وصادقًا في الاستدلال بالقدر على ترك العمل الأخروي فليستدل به على ترك العمل الدنيوي؛ ليقبع في بيته وليجلس وليقل: أليس الله قد قدر حتى أنفاسي وما يدخل جوفي من طعام وشراب، سأبقى في بيتي، فإن كان الله قدر لي شبعًا شبعت حتى لو لم أعمل، وسيقول أيضًا سيلزمه

أن يقول: أنا لن أتزوج فإن كان الله قدر لي ذرية فستأتي الذرية بدون سببها وهي الأم، أم الأولاد هذه زوجته، فإن كان قد قدر لي ذرية جاءت الذرية من غير زوجة، هل يقول هذا أحد عاقل؟ ما يقوله، إذًا الذي يستدل بالقدر على ترك المصير الأعظم هو أسوأ في حجته وأبعد عن العقل الذي يزعم أنه بناء على العقل يترك العمل.

❍ **لهذا كل أحد يحتج لإبطال الشرع بالقدر كاذب بنص الآية**، ولا يمكن أن يرضى فيما يخصه هو بأن يطبق هذا في خاصة نفسه، وهكذا لو اعتدي عليه في ماله، أو في نفسه، أو في ذريته لو قيل له: ألست تقول إن الأمور قد قدرها الله ونحن ننتظر ما يكون لنا، هذا الذي اعتدى عليك أو قتل ابنك أو سرق مالك ألم يقدر الله تعالى له ذلك؟ يقول: بلى، اجلس لا تطالبه هو قدر عليه أن يقتل ابنك، ما الذي يجعلك تطالبه؟ أنت بنفسك تقول لن تعمل، لن تصلي، لن تترك المحرمات لأنها مقدرة، هذا الذي قتل ابنك أيضًا هو ممن قدر الله له ذلك ألست تقر بهذا؟ يقول: بلى، ستترك مقاضاته؟ يقول لن أترك مقاضاته وسأحصل على حقي بأي ثمن، أليس هذا مقدرًا؟ بلى، لم لا ترتضي هذا المسلك الذي سلكته في مسائل الشرع لماذا ترضيه في خاصة نفسك، لم لا تقبع في بيتك وتقول إن كان الله قدر لي رزقًا فسأشبع، وسيأتني رزقي في وسط بيتي، وإن كانت قد قدرت لي ذرية فستكون لي ذرية دون زواج، لم لا تقول هذا؟ يقول: هذا جنون لأنه لا يمكن أن توجد ذرية إلا بزوجة، ولا يمكن أن يأتيني رزقي حتى أسعى فيه، قالوا: وكذلك الجنة، جعل الله لها طريقًا يوصل إليها بعد رحمته، والنار جعل لها طريقًا يوصل إليها بعدله، فإذا ركبت طريق النار ثم قلت قد قدر وسنرى، يقال لك: أنت لم تنصف.

ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وعند مراد الرب تحتج بالقضاء، وعند مراد الرب -أي: في الأوامر- تفنى كميت، وعند مراد النفس تسدي وتلحم، إذا جاءت مراداتك أنت ستحاجج وتلحم كما يفعل الخياط الحريص يسدي أي: يخيط طولًا وعرضًا يعمل يتصرف، قال: إذا جاءتك مرادات الرب سبحانه تفنى كميت، تقول إن كان الله قدر لي أن أصلي صليت، وإن كان ما قدري لي أنا لا حيلة لي، قد قدر الله عَزَّوَجَلَّ أن لا أصلي، أنت كاذب، وعند مراد الرب تفنى كميت، كأنك ميت تقول ما لي حيلة، وعند مراد النفس تسدي وتلحم، يكون عندك حرص ويكون عندك عمل، إذًا هذا المحتج بالقدر لا شك أنه كاذب؛ لأنه لا يمكن أن يحتج به في مسائل دينه ودنياه وإنما يحتج على مسائل دينه ليقطع عن نفسه

العمل، وليزعم أنه مسكين قد قدر عليه هذا الأمر، ولكنه -كما قال الله تعالى- كاذب.

۞ **قال المؤلف: «أبو عثمان النهدي $ قال لسلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحا منِّي بآخره؛ لأنه إذا كان سبق له من الله سابق».**

هذا معنى مراده ما أول الأمر وما آخره؟ آخر الأمر المصير الذي يكون إليه الإنسان، وأوله ما قد قدر وكتب، يقول: أنا فرح بكون الله عَزَّوَجَلَّ قد كتبني في السعداء إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ قد هداني للإسلام ففرحي بأن الله اصطفاني، فاصطفاء الله لي بأن أكون على السنة وعلى الإسلام أنا به أفرح مني بآخر الأمر إذا وردت القيامة؛ لأن الله تعالى قد جعلني في من اصطفاهم في عباده للإيمان.

۞ **قال المؤلف: «وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة وهيّأه ويسره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بعدها».**

وهي الأعمال.

ثم ذكر حديث الوليد ابن الصحابي الجيل عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دخل على أبيه وهو في آخر حياته في مرض موته يتخايل فيه الموت، فطلب من أبيه أن يوصيه وأن يجتهد له، فأبوه مع مرضه الشديد أمر أن يُجلس، المقام كبير قال: أجلسوني؛ فلمّا أجلسوه ما حدثه إلا عن العقيدة، فقال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.

❍ **وهذا يدل على أن أمر الاعتقاد هو المعلم الحقيقي للعبد على وفق النصوص** هو الذي يعلم بالله عَزَّوَجَلَّ، لا أمور خزعبلات الصوفية ما يسمونه بالكشف والذوق، أو خرافات المعتزلة وأنهم يعرفون الله تعالى بهذه الآراء التي يخترعونها، إنما العلم يكون بالله عَزَّوَجَلَّ من خلال ما عرّف عباده به في كتابه، وعلى لسان نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، الابن سأل: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ما أخطأك من الأمور التي فاتتك ولم تقع لك مما هي مفرحة أو مما هي محزنة، هذه يستحيل أن تصيبك، وما أصابك ووقع وحصل لك لم يكن ليخطئك يستحيل أن يخطئك لأن الله تعالى إذا قدر أمرًا فلا بُدَّ أن يقع، يا بني إني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**أوّل ما خلق الله القلم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

أي: أن الأمور قد سبق وكتبت، ثم قال: يا بني إن مِتّ ولست على ذلك دخلت النّار.

أي: إن لم تلقى الله بهذه العقيدة السوية في القدر فإنك ستكون من أهل النار. وهذا كما قلنا إن الخلل في مسائل الاعتقاد كبير جدًا، الخلل في مسائل الاعتقاد أمره خطير؛ لأنه مخالفة في القدر تجعل العبد إما مائلًا إلى بدعة القدرية أو إلى بدعة الجبرية، وهما البدعتان التي قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهلها: «**شرار أمتي**».

❍ **فاحرص -وفقك الله- على تعلم العلم،** في مثل هذه المسائل العقدية احرص على تعلمها من خلاص النصوص ومن خلال منهج أهل السنة، واحذر أهل الباطل، من دعاة الاعتزال، ودعاة الرفض، ودعاة من يسمون أنفسهم ظلمًا وعدوانًا بأهل العقول النيرة، ونحو ذلك وهي أهواء، أهواء لا ارتباط لها بالنصوص واحفظ هذه الآية وتأملها في حياتك حتى تلقى الله، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] كل من لا يستجيب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه صاحب الهوى؛ ولهذا قال ابن القيم في هذه الآية: ما ثَمَّ إلا طريقان الاستجابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الهوى، سمى نفسه صوفيًا رافضيًا، معتزليًا، متحررًا، ليبراليًا، علمانيًا، خارجيًا، أي اسم سماه فهو صاحب هوى فيه، وسواء كان هذا الهوى مما هو به مبتدع من المنسوبين إلى الإسلام، أو مما هو مرتد خارج الملة، فهو صاحب هوى، إن لم يستجب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لهذا قال ابن القيم: ما ثم إلا طريقان؛ لأن الله جعل الأمر على هذا الحد ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ وكيف نستجيب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وكيف نعرف الطريق الذي به نستجيب؟ أن تتأمل النصوص التي أنزلها الله في كتابه وجاءت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن انصعت لها وتركت كل الأمور المخالفة لها فأنت مستجيب، وإن قلت: هذا النص لا يليق ولا يناسب وينبغي أن يغير عن وجهه وأن يفهم فهمًا على غير فهم السلف الصالح فأنت صاحب هوى، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ -نسأل الله العافية والسلامة-.

ثم ذكر حديث أبي خِزامة عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! وهذا سؤال الحقيقة وهذا من فهم الصحابة، الصحابة رضي الله عنهم أسئلتهم على أحسن ما يكون إلا أن يكون مثل الأعرابي السابق يكون عنده جهل أو نحوه، لكن إن تأملت أسئلة الصحابة، أسئلة الصحابة تدل على فقههم، إذا تأملت السؤال، السؤال إذا أتى من طالب علم عرفت أنه سؤال طالب علم، وإذا أتى من جاهل عرفت أنه من جاهل،

أسئلة الصحابة ﵃ التي يسألوها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجد أنها من الأسئلة التي أولًا يحتاج إليها، وتجد أنها أسئلة واضحة جلية وربما أثنى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السائل كما في حديث أبي هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك، فقال: «**لقد ظنن أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث**» بدأ بالثناء عليه ثم قال: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**» أو كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السؤال يبين حال السائل من جهة علمه، يقول: يا رسول الله أرأيت رقى -جمع رقية- نسترقِيها ودواء نتداوى به، أدوية، وتقاة نتقِيها، نجعل وقاية بيننا وبين الأشياء التي تضرنا، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ يقول: نحن الآن إذا كتب الله المرض، الله قدره نحن نأتي لنرقي المريض، وهكذا إذا جاء المرض أتينا بالدواء لنعالجه، وهذا كالأشياء التي نتقيها حتى لا تضرنا، أليست الأشياء مقدرة؟ بلى، لكن هذه الأشياء التي نفعلها هل ترد قدر الله في المرض ونحوه؟ أجاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أعطاه الله جوامع الكلم قال: «**هي من قدر الله**» الآن الرقية هذه التي ترقي بها أليست مما كتبه الله وقدره؟ بلى، إذًا فاسعى في السبب بإزالة المرض بالدواء المباح كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام**» واسعى في الرقية الشرعية السليمة، حتى قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**» ما هنالك تعارض، لا بين الرقية وبين المرض، ولا بين العلاج وبين المرض، كل هذه مقدرة، قال: هي من قدر الله.

ثم ذكر الحديث العظيم عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

۞ **قال المؤلف: «المؤمن القوي».**

أي: في إيمانه.

۞ **قال المؤلف: «خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».**

في إيمانه.

۞ **قال المؤلف: «وفي كل خير».**

فدل على أن أهل الإيمان فيهم خير لكن يتفاوت هذا الخير وهذا من دلائل كون الإيمان يزيد وينقص.

❁ **قال المؤلف:** «**قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احرص على ما ينفعك»**.

وهذا الحرص سواء في أمر دينك وهو الأساس، أو حتى في أمر دنياك، احرص على مثلًا دراستك يا طالب، احرص على رزقك يا من تبذل وراءك ذرية وتريد أن تستغني عن الناس، احرص على الرزق، احرص على ما ينفعك، ومع هذا الحرص الذي هو منك انتبه، لا تقطع الاستعانة بالله، كما تحرص على ذلك بأسبابه.

❁ **قال المؤلف:** «**واستعن بالله**».

ثم قال: «**ولا تعجزن**»، إياك والعجز.

❁ **قال المؤلف:** «**فإنْ أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا! ولكن قل: قدَّر الله**».

ولكن قل: قدَرُ الله، ولعل هذه أرجح رجحها شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال الثانية لها وجه، الشيخ عبد العزيز، «**وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**» إن أصابك شيء، من عادة الناس أن الناس يقولون: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا.

مثال: حين يقع لبعض الناس مثلًا حادث سيارة، يقول: لو أني بقيت في بيتي وما خرجت في هذا المطر ما وقع لي الحادث، هذا خطأ، وليس منه إلا فتح الباب للشيطان، والتسخط على قدر الله عَزَّوَجَلَّ، وفيه الجهل العظيم، وهو أنك لا بُدَّ أن تخرج؛ لأن الله كتب أن تخرج، فلا بُدَّ لك من ذلك، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [آل عمران] أليس يأتيكم الموت، أنتم سيأتيكم الموت، وهكذا أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بأمر من يموتون أنهم لا بُدَّ لهم حين يأتيهم قضاؤهم أن يموتوا، وأنهم سيبرزون إلى مضاجعهم، يخرج الإنسان، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة**» إذا أراد الله أن يقبضك في غير بلدك يكتب الله تعالى أن تكون لك حاجة في بلد من البلدان ترحل لتموت هناك، فالأمور هذه مقدرة، فدعك من (لو)، ولا تفتح على نفسك تحزين الشيطان والتسخط على قدر الله، فإن أصابك شيء لا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله أو ولكن قل قدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان.

۞ **قال المؤلف:** «باب ذكرِ الملائكةِ عليهم السلام والإيمان بهم وقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المائدة: ١٧٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ الآية [فاطر: ١].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خلِقت الملائكة من نّور، وخلق الجانّ من مارِج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم**» رواه مسلم.

وثبت في بعض أحاديث المعراج أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفع له البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة، وقيل: في السادسة بمنزلة الكعبة في الأرض، وهو بِحيالِ الكعبةِ حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما في السماء موضع قدمٍ إلّا عليه ملكٌ ساجدٌ أو ملك قائم، فذلك قول الملائكة:** ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات]» رواه محمد بن نصر وابن أبي حاتم وابن جريرٍ وأبو الشيخ.

وروى الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما في السّمٰوات السبع موضع قدمٍ ولا شِبرٍ ولا كفّ إلّا وفيه ملكٌ قائم أو ملك ساجد أو ملك راكِع، فإذا كان يوم القيامة قالوا**

جميعا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! إلّا أنّا لم نشرك بك شيئا».

وعن جابرٍ ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكةِ الله من حملة العرشِ، ما بين شحْمة أذنهِ إلى عاتِقِهِ مسيرة سبعمائةِ عام**» رواه أبو داود والبيهقي في «الأسماءِ والصِّفاتِ» والضِّياء في «المختارة».

فمن سادتِهم جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة، فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم].

ومن شدة قوته أنه رفع مدائِن قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وكن سبعًا بمن فيهن من الأمم وكانوا قريبًا من أربعمائة ألف، وما معهم من الدوابِّ والحيوانات، وما لتلك المدائن من الأراضي والعمارات؛ على طرف جناحه، حتّى بلغ بِهِن عنان السماء، حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح دِيكتِهِم، ثمّ قلبها فجعل عاليها سافلها، فهذا هو شديد القوى.

وقوله: ذو مِرة، أي: ذو خلقٍ حسنٍ وبهاءٍ وسناءٍ وقوة شديدة.

قال معناها ابن عباس ﵄.

وقال غيره: ذو مرة، أي: ذو قوة.

وقال تعالى في صفته: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير] أي: له قوّة وبأس، شديد وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي: مطاع في الملأ الأعلى ﴿أَمِينٖ ۝٢١﴾ ذي أمانة عظيمة، ولهذا كان هو السفير بين الله وبين رسلِه.

وقد كان يأتي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفاتٍ متعدِّدة، وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين وله ستمائة جناح. روى ذلك البخاري عن ابن مسعود ﷺ.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله قال: رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل في صورته وله ستّمائة جناحٍ، كل جناحٍ منها سد الأفق يسقط من جناحِه من التهاويل والدرِّ والياقوت ما الله به عليم. إسناده قوي.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل في حلةٍ خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض. رواه مسلم.

وعن عائشة ﵂ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيت جبريل منْهبِطا قد ملأ ما بين الخافِقين عليه ثياب سندسٍ معلّقٌ بها اللؤْلؤ والياقوت**» رواه أبو الشيخ.

ولابن جريرٍ عن ابن عبّاسٍ ﵄ قال: جبرائيل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكلّ اسمٍ فيه إِيل فهو عبد الله.

وله عن علي بن الحسين مثله، وزاد: وِإسرافِيل عبد الرَّحمٰن.

وروى الطبراني عن ابن عبّاسٍ ﵄ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أخبِركم بأفضلِ الملائِكةِ؟ جِبرائِيل**».

وعن أبي عِمران الجوني أنه بلغه أنّ جبرائيل أتى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يبكي، فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يبكيك؟ قال: وما لي لا أبكي فو الله ما جفت لي عين منذ خلق الله النَّار، مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها**» رواه الإمام أحمد في «الزّهد».

وللبخاري عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبرائيل: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا**» فنزلتْ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية [مريم: ٦٤].

ومن ساداتهم ميكائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو موكل بِالْقطْر والنباتِ.

وروى الإمام أحمد عن أنسٍ ﵁ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لجبرائِيل: «**ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ قال: ما ضحِك ميكائيل منْذ خلِقتِ النّار**».

ومن ساداتهم إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أحد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصور.

روى التِّرمذِي وحسنه، والحاكم عن أبي سعيد الخدْرِيِّ ﵁ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كيف أنعم وصاحب القرنِ قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظِر متى يؤْمر فينفخ؟**» قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونِعم الوكيل على الله توكلنا**».

وعن ابن عباس ﵄ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنّ ملكا من حملة العرش يقال له: إسرافيل،**

زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا» رواه أبو الشيخ وأبو نعيم في الحِلية.

وروى أبو الشّيخ عن الأوزاعي قال: ليس أحدٌ من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فإذا أخذ في التسبيحِ قطع على أهل سبعِ سمٰواتٍ صلاتهم وتسبيحهم.

ومن ساداتهم ملك الموت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ولم يجئ مصرحًا باسمه في القرآنِ ولا في الأحاديث الصحيحة وقد جاء في بعضِ الآثارِ تسميته بعزْرائِيل، فالله أعلم قاله الحافظ ابن كثير. وقال: إنهم بالنسبة إلى ما هيأهم له أقسامٌ:

فمنهم حملة العرش. ومنهم الكروبيِّون الذين هم حول العرش، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المائدة: ١٧٢].

ومنهم سكان السموات السبع يعْمرونها عِبادة دائمة ليلا ونهارا صباحا ومساء كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور.

قلت: الظاهر أن الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السماوات.

ومنهم موكلون بالجنان وإعداد الكرامات لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها؛ من ملابس ومآكِل ومشارِب ومصاغٍ ومساكِن وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومنهم الموكلون بالنَّار -أعاذنا الله منها- وهم الزبانية ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك، وهو مقدم على الخزنة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ الآية [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

[التحريم]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر].

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملائكةٌ يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء أمر الله خلوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلّا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منها شيءٌ يأتيه يريده إلا قال له: وراءك؛ إلّا شيءٌ يأْذن الله تعالى فيه فيصيبه.

ومنهم الموكّلون بحفظ أعمال العباد؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

روى البزّار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «**إن الله ينهاكم عن التّعري، فاستحيوا من ملائكة الله الّذين معكم؛ الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالاتٍ: الغائط، والجنابة، والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراءِ فليستتر بثوبه أو بِجِذْمِ حائطٍ أو بغيره**».

قال الحافظ ابن كثير: ومعنى إكرامِهم أن يستحيَ منهم، فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها، فإن الله خلقهم كراما في خلقهم وأخلاقهم.

ثم قال ما معناه: إن من كرمهم أنهم لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب ولا تمثال ولا يصحبون رفقة معهم كلبٌ أو جرس.

وروى مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم**

فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

وفي رواية أن أبا هريرة قال: اِقرأوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء].

وروى الإمام أحمد ومسلم حديث: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوتِ الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**».

وفي المسند والسنن حديث: «**إِن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**».

والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جدًّا».

كما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، الأحاديث والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جدًا، لكن نضع مقدمة كما وضعنا في القدر، وهذه المقدمة مأخوذة من كتاب الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى «**شرح أصول الإيمان**»؛ لأنه رتب هذه الأصول ترتيبًا حسنًا قربها لطالب العلم، وبعضه قد استفاده من شيخه العلامة السعدي في «**التفسير**»، رحم الله الجميع.

❁ الإيمان بالملائكة عليهم السلام يتضمن الإيمان بأربعة أمور:

❍ **الأمر الأول**: **الإيمان بوجودهم**، ولا يعارض بوجود الملائكة مسلم، إنما وقع في جحدهم زنادقة الفلاسفة وأضرابهم؛ لهذا أمر معلوم عند كل إنسان.

❍ **الأمر الثاني**: **الإيمان بما علمنا من صفاتهم**؛ فإن لهم صفات ذكر بعضها في هذه النصوص من كونهم يتشكلون بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وكونهم ذوي أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء، ونحو ذلك من الصفات.

❍ **الأمر الثالث**: **الإيمان بما علمنا من أعمالهم**، وأعمالهم على نوعين:

❍ **النوع الأول**: نوع عام، يشترك فيه جميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وهو العبادة الدائمة التي لا تنقطع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء] ما عندهم أي فتور،

عليهم صلوات الله وسلامه.

❍ **النوع الثاني**: من أعمالهم أعمال خاصة، فجبريل موكل بالوحي، إسرافيل موكل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، ونحو ذلك مما إن شاء الله تعالى يأتي ذكره.

❍ **الأمر الرابع**: **الإيمان بما علمنا من أسمائهم**، وقد علمنا من أسمائهم مثل من ذكرنا: جبريل، ومكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار ونحو ذلك ممن ورد في النصوص، والذين لا نعلم أسماؤهم نؤمن بهم إجمالًا. ويأتي إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ شرح هذه النصوص بإذن الله تعالى ومعونته.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[١].



(١) نهاية المجلس الثالث.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

تقدم أن الإيمان بالملائكة يتضمن أمورًا أربعة:

❍ **الأمر الأول:** الإيمان بوجودهم، وهذا بمثابة المفتاح الذي إذا آمن به الإنسان آمن بما بعده، وأما من كفر بوجودهم فإنه لم يؤمن بما بعده.

❍ **الأمر الثاني:** الإيمان بما علمنا من أسمائهم مما ذكر في كتاب الله، وفي صحيح السنة عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما لا نعلمه من أسمائهم نؤمن به إجمالًا.

❍ **الأمر الثالث:** الإيمان بما علمنا من صفاتهم، ومنها أشياء يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في النصوص، فإن لهم حالًا ووصفًا يختلفون فيه عن حال الإنس وحال الجن.

❍ **الأمر الرابع:** الإيمان بما علمنا من أعمالهم، وأعمالهم قلنا إنها على قسمين:

❍ **القسم الأول: يشترك فيه جميع ملائكة الله** عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلا يوجد ملك واحد إلا وهو داخل في هذا العمل وهو العبادة المستديمة التي لا يفترون عنها أدنى لحظة.

❍ **القسم الثاني: الأعمال الخاصة**، بأن يوكل ملك أو مجموعة ملائكة بعمل معين يكون هذا العمل خاصًا بهم، ويأتي الكلام عليه في كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ابتدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في سرد الأدلة بالآية الجامعة التي ذكرت خمسة من أركان الإيمان: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فهذه ذكرت خمسة أركان.

وذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

وهكذا قوله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [المائدة: ١٧٢].

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء: ١٩].

هنا يستفيد طالب العلم فائدة تفسير الآيات بعضها ببعض، قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا عام كل من في السَّمٰوات والأرض لله تعالى، ثم خص أناسًا عنده تعالى قال: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ هم الملائكة، فدل على أن الملائكة عند الله، ولهذا من أدلة علو الله التصريح بهذا اللفظ (عنده) يسميه أهل العلم التصريح بالعندية، نسبة إلى كلمة عند، فالملائكة معلوم أنهم سكان السماء فقوله تعالى: ومن عنده أي الملائكة فهم عند الله تعالى في العلو.

وذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾ [فاطر: ١] فهذا مما قلنا إن الإيمان بما علمنا من صفاتهم، من صفاتهم أن الله تعالى جعل لهم أجنحة هذه الأجنحة هم فيها متفاوتون ﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾، أي: لهم لبعضهم جناحان، ولبعضهم ثلاثة، ولبعضهم أربعة، وبعد ذلك قال: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ كما يأتي في خبر جبريل من هول منظره الذي خلقه الله تبارك وتعالى عليه.

ثم ذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ [غافر: ٧] فهذا قسم من الملائكة عملهم حمل العرش ولهم خلقة هائلة لا يحيط بها إلا الذي خلقهم عَزَّوَجَلَّ.

ثم بدأ في أحاديث السنة، منها:

۞ قال المؤلف: «قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خلِقت الملائكة من نّور، وخلق الجانّ من مارِج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم».

أي: من التراب؛ فهذا أيضًا من أوصافهم التي نؤمن بها أن الله تعالى وله القدرة العظيمة خلق هذه الملائكة العظيمة من نور، فهو من هذه الحيثية لهم مزية خاصة في الخلق؛ لأن الرب عَزَّوَجَلَّ خلق الملك من نور، بينما الجان خلقه الله تعالى من نار، والإنسان لا هو من نور ولا هو من نار، وإنما من التراب.

ثم ذكر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر في حديث المعراج لما عرج به في السماء أنه رفع له البيت المعمور، والبيت المعمور هذا كما وصفه هنا: في السماء السابعة، قال: وقيل: في السادسة بمنزلة الكعبة في

الأرض، وهو بِحيالِ الكعبةِ، حتى لو سقط لسقط على الكعبة، فوق الكعبة تمامًا، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، كما أن الكعبة بيت الله التي يتجه إليها عند الصلاة فهذا البيت المعمور يدخل كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، وهذا يدل على الكثرة الكاثرة الهائلة للملائكة صلى الله عليهم وسلم، فكونه يدخل من قبل سبعين ألفًا كل يوم إذا دخل هؤلاء السبعون ألفًا لا تأتيهم النوبة مرة أخرى، يدخل سبعون ألفًا آخرون وصدق الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] لا يحيط بهم إلا الذي خلقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبعدها أحسن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى اختيار الحديث بذكر حديث: «**ما في السماء موضع قدمٍ إلّا عليه ملكٌ ساجدٌ أو ملك قائم**»، تقدم أن البيت المعمور يدخله هذا العدد العظيم، ما من موضع قدم إلا عليه ملك من ملائكة الله يؤدي عبادة، ساجدًا، أو قائمًا، قال: «**فذلك قول الملائكة**»: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات] ولهذا المخلوقات الهائلة من ملائكة الله في السماء لا يحيط بهم إلا ربهم عَزَّ وَجَلَّ.

۞ **قال المؤلف: «روى الطبراني أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما في السّموات السبع موضع قدمٍ ولا شِبر ولا كفّ إلّا وفيه ملكٌ قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكِع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! إِلّا أنّا لم نشرك بِك شيئا».**

كل هذه تدل على كثرة الملائكة الكاثرة.

ذكر حديث جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكةِ الله من حملة العرشِ، ما بين شحْمة أذنهِ إِلى عاتِقِهِ مسيرة سبعمائةِ عام**».

هذا يدل على هول عظمته الخلقية، خلقته هائلة جدًا، شحمة الأذن هي أسفلها، المسيرة منه إلى العاتق مسيرة سبعمائة عام، وقلنا إن المسيرة إذا كانت على الإبل فإنها مثلًا من هذه البلاد إلى مكة نحو من الشهر والأيام، هذه بالأعوام ليس سبعمائة يوم وإنما بالأعوام؛ ولهذا ابن آدم مسكين، هذا الملكوت الذي هو في من أصغر ما خلق الله فيه ابن آدم، من أصغر ما نقول أصغر ما خلق الله، خلق الله أشياء هائلة، ولهذا نبه الله ابن آدم بقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٥٧﴾ [غافر] فلله عَزَّوَجَلَّ مخلوقات لا يحيط بها إلا هو عز اسمه لا إلٰه إلا هو ولا رب سواه.

ثم بدأ يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بعض أسماء الملائكة، وبعض أعمالهم، فبدأ بجبريل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو سيد الملائكة عليهم الصلاة والسلام، قال: فمن ساداتهم جبريل أو جبرائيل كلاهما لفظان سَلِيمان للاسم، وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة، لا بُدَّ أن يعطيك الأدلة، قال: فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ هذا من جهة قوته ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦﴾ [النجم] من شدة قوته أن الله تعالى حين أمر بتعذيب قوم لوط قد عُلم أن قوم لوط أفكت مدائنهم أي: قلبت قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ٥٣﴾ [النجم] المؤتفكة هي المقلوبة، بلد قلبت، كيف قلبت؟ رفعت -نسأل الله العافية والسلامة- حتى سمعت الملائكة صياح ديكتهم ونباح كلابهم، رفعها جبريل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على بعض جناحه، واستمروا كأنهم في الأرض ثم بعد ذلك أفكها أي: قلبها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ٥٣﴾ وذكر أنهم لهم سبع قرى، عدد من فيها أربعمائة ألف بما معهم دوابهم وبهائمهم، فسماه الله تعالى شديد القوى.

❁ **قال المؤلف:** «وقوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾».

أي: ذو خلقٍ حسنٍ وبهاءٍ وثناءٍ وقوة شديدة.

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال معناه أي: قال هذا المعنى قاله ابن عباس.

وقال غيره: أي ذو قوة، فمعنى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ هل هو يعود إلى القوة أو إلى المعنى الأول؟ من الخلق الحسن والبهاء والثناء، قال ابن كثير: لا منافاة، فهو ذو قوة ومنظر حسن، أي: دل اللفظ هذا ذو مرة على الأمرين، ولا ينافي من جهة القوة هو ذو قوة قطعًا، وهو منصوص عليه أصلًا في قوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ ومن جهة المنظر الحسن يقول لا يمنع فتكون الآية شاملة للمعنيين معًا.

❍ **ثم ذكر أن جبريل له منزلة عالية رفيعة عند ذي العرش سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ**، ولهذا قال تعالى: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ [التكوير] ثم يراد بها هناك، يقال أتيت البلد وما ثم أحد أي: ما هناك أحد، فما المراد بقوله: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي: في الملأ الأعلى، ما يدل على نوع سيادته بأن تطيعه الملائكة بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

ومما يدل على كريم خلقه عليه صلاة الله وسلامه قول الله تعالى في وصفه ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ أي: أنه

ذو أمانة عظيمة، ولهذا أُمِن على أعظم شيء يؤمن عليه وهو الوحي بأن يأتي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر الأنبياء ويقول: يقول الله لك كذا وكذا، أعظم أمانة على الإطلاق أمانة الوحي، ولهذا سماه الله تعالى بالأمين.

يأتي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفات متعددة، هذا مما نؤمن به من صفات الملائكة أن الله أقدرهم على التشكل، هم على هذه الهيئة وعلى هذه الخلقة، وخلقوا من نور ومع ذلك فإن لهم قدرة بإذن الله أن يتشكلوا في غير خلقتهم، ولهذا أتوا إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صورة بشر، ولهذا ذبح لهم العجل وقدمه على أساس أنهم بشر، وهكذا لما أتوا لوطًا صلوات الله وسلامه عليه ضاق بهم ذرعًا، لو كان يعلم أنهم ملائكة فما ضاق بهم ذرعا، لكنهم جاؤوا على صورة شبان حسان ابتلاء من الله لقومهم الذين هم من أخبث الأمم، وأبى الله تعالى إلا أن يعذبهم بالعذاب الهائل لقذارة ما كانوا يصنعون نم إتيان الرجال، فلهذا تشكلوا بأمر الله تعالى على هذه الخلقة، لو كان لوط يعلم أنهم من عند الله وأن الله أرسلهم لما ضاق بهم ذرعًا، ولما قال هذا ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧﴾، ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [هود] حتى قالوا له: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ أما ملائكة الله فيخسأ قوم لوط أن يصلوا إليهم، لن يصلوا إليك أنت، فالذي حمله على هذا أنهم جاؤوا على هيئة البشر، وهكذا مريم لما تمثل لها جبريل بشرًا سويًا تعوذت بالله منه ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم] فكانوا يتشكلون.

❍ **ومن ذلك حديث عمر الطويل** بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا طلع علينا رجل شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب... الحديث، أتاهم في صورة رجل، وكان يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا في صورة دحية الكلبي، وكان من أجمل الرجال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا مما أقدرهم الله تعالى عليه أن يتشكلوا فيأتوا في صفات متعددة إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل مرتين، المرة الأولى أول ما نزل عليه بالوحي، ولهذا لما رآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن نزل بـ(اقرأ)، رآه بعد له ستمائة جناح كما سيأتي قد سد الجناح الواحد منهم الأفق؛ فلهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أشجع الناس لما رأى هذا المنظر لم يتمالك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسقط على الأرض؛ لشدة خلقة هذا المخلوق الهائل سدت السماء بأسرها لا ترى مما جعل الله عَزَّ وَجَلَّ من

عظمة خلقة هذا الملك العظيم.

الثانية: لما عرج به إلى السماء قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [النجم] فرأى جبريل مرة أخرى فرآه مرتين، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم ذكر أن عبد الله والظاهر أنه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روى عنه الإمام أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم، من خلقة الله عَزَّوَجَلَّ له، ومع ذلك يقدر أن يأتي في صورة رجل بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

وهكذا حديثه أيضًا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل في حلة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض، وقال: «**رأيت جبريل منهبطًا قد ملأ ما بين الطابقين عليه ثياب سندس معلقًا بها اللؤلؤ والياقوت**» ما معنى جبريل؟ جبرائيل، (إيل) أي الله عَزَّوَجَلَّ، فيعقوب اسمه إسرائيل، ومعنى (إسرا) عبد، ومعنى (إيل) الله، وهكذا (جبرا) معناه عبد، و(إيل) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهكذا ميكائيل معناه عبيد الله.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وكلّ اسمٍ فيه إيل فهو عبد الله، مثل إسرائيل، جبرائيل، ميكائيل، إيل يراد بها اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ذكر أن إسرافيل قال علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه بمعنى عبد الرَّحمٰن، والرَّحمٰن والله كلها أسماء لله عَزَّوَجَلَّ.

ذكر حديث الطبراني أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا أخبِركم بأفضلِ الملائِكةِ؟ جِبرائِيل**».

ثم ذكر عن أبي عِمران الجوني أنه بلغه أنّ جبرائيل أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يبكي، فذكر أنه سببه أنه منذ أن خلق الله النار وهو يبكي يخاف أن يقذفه الله تعالى فيها، مثل هذه الأخبار التي لا ترفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسند متصل هي لم ترفع أصلًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو عمران رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ليس من الصحابة، الغالب على هذه الأخبار أنها من أخبار بني إسرائيل والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» من حيث التحديث لا حرج، لكن من حيث اليقين والجزم لا نجزم ولا نقطع؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**» مثل هذه الأخبار التي لا يُعلم ثبوتها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تصدق، وفي الوقت نفسه لا تكذب.

روى البخاري أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لجبريل: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا**» فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ الجواب: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] فهو لا يذهب ولا يأتي إلا بإذن ربه تبارك وتعالى.

❍ **ثم ذكر أن من ساداتهم ميكائيل،** جعل الله تعالى أمر القطر والنبات جعله موكلًا به هذا عمل خاص كما قلنا أعمالهم أعمال عامة يشترك فيها الجميع وفيها أعمال خاصة، جبرائيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ موكل بالوحي، ميكائيل موكل بالقطر وهو المطر والنبات، إسرافيل موكل بالنفخ في الصور هو الذي ينفخ في الصور بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، ومنذ أن خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ فقد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه -الله أكبر-، منذ أن خلق، ينتظر متى يؤمر فينفخ من شدة طاعتهم لله عَزَّ وَجَلَّ.

في الرواية التي رواها الإمام أحمد عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لجبرائِيل: «**ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ قال: ما ضحِك ميكائيل منْذ خلِقتِ النّار**» هو يدل على أنهم عليه صلوات الله وسلامه أهل مراقبة لله عَزَّ وَجَلَّ مع شهادة رب العالمين لهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مع ثناء الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم في مواضع من كتابه، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء] وأثنى الله تعالى عليهم وعلى عبادتهم، ومع ذلك فإنهم على أكمل ما يكونون من مراقبة الله وطاعته.

لما ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن إسرافيل قد التقم القرن ينتظر متى يؤمر قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونِعم الوكيل على الله توكلنا**» أي الله عَزَّ وَجَلَّ يكفينا، حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا.

۞ **قال المؤلف: «وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إنّ ملكا من حملة العرش يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة».**

تقدم أن الأراضين سبع، وأن السَّمٰوات سبع.

۞ **قال المؤلف: «مرقت قدماه في الأرض السابعة».**

وليس فقط في الأرض هذه وإنما في الأرض السابعة.

۞ **قال المؤلف: «السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا».**

أي: أنه بقدر طول هذه السَّمٰوات والأرض. هذا الحديث لو ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدل على هول

خلقة هذا الملك.

وجاءت أحاديث فيها ما يدل مثل الحديث الذي تقدم: «**أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكةِ الله من حملة العرشِ، ما بين شحْمة أذنهِ إلى عاتِقِهِ مسيرة سبعمائةِ عام**» سبعمائة سنة، وهذا كما قلنا دال على عظمة خلقتهم، وتقدم حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه له ستمائة جناح، الجناح الواحد منها قد سد الأفق، كل هذا إذا ضممته إلى قوله تعالى عن الملائكة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] يتكلم الله عَزَّوَجَلَّ بالوحي أخذت السَّمٰوات رعدة وصعقت الملائكة عليهم الصلاة والسلام، قال أهل العلم: في هذه فائدة عظيمة أن عظمة هذا المخلوق تدل على عظمة من خلقه سبحانه وبحمده، وهذه فائدة كبيرة جدًا، أن من خلق هذه المخلوقات على هذا الحال من العظمة فهو عَزَّوَجَلَّ أعلى وأعظم وأرفع وأجل.

ثم ذكر عن الأوزاعي أن إسرافيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحسن عباد الله عَزَّوَجَلَّ صوتًا، فإذا سبح قطع على أهل السَّمٰوات السبع صلاتهم وتسبِيحهم، وهذا كما تقدم مثله مثل قول أبي عمران يحتاج إلى أن يثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإلا فالعادة أنه من أخبار بني إسرائيل.

❍ **ومن ساداتهم ملك الموت عليه صلاة الله وسلامه**، لم يجئ في القرآن مصرحًا باسمه كما صرح بجبريل ومكائيل وإسرافيل ومالك، ولكن جاء هكذا ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] ملك الموت عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعلى ملائكة الله وأنبيائه أجمعين له أعوان، ولهذا قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وعمله عجب، قبض هذه الأرواح كل حي تقبض روحه من خلال هؤلاء الملائكة الذين وكلوا بقبض هذه الأرواح، مع كثرة هؤلاء الأحياء، مع أن الله سبحانه وبحمد وله العظمة والقدرة مكنهم بأمر الله عَزَّوَجَلَّ من قبض هذه الأرواح، لو تنظر فقط إلى الذين تقبض أرواحهم من البشر فقط خلال يوم واحد تجد أن أعدادهم كبيرة جدًا، على مستوى الأرض كبيرة، كبيرة للغاية، ومع ذلك ما منهم أحد يموت إلا وتقبض روحه من قِبل ملائكة الله عليه عليهم الصلاة والسلام إما ملائكة الرحمة وإما ملائكة العذاب.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: أنه لم يأتِ اسم عزْرائِيل هكذا مصرحًا به في أحاديث صحيحة، وإن كان جاء في بعض الآثار، فالله أعلم.

❍ **فملك الموت لم يثبت له اسم كما ثبت لميكائيل وإسرافيل وجبريل عليهم السلام** وأمثالهم ممن سموا فنحن نؤمن بأن الله تعالى جعل ملكًا موكلًا بالموت، ويشيع عند الناس أن هذا الملك يذبح في القيامة، لا، ليس يذبح الذي يذبح الموت نفسه ينادى أهل الجنة فيشرئبون، وينادى أهل النار فيشرئبون ثم يمثَّل لهم الموت نفسه في صورة كبش فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم وكلهم قد رآه على أرض القيامة كلهم قد ماتوا فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، ليس الذي يذبح الملك، إنما الذي يذبح الموت نفسه، حقيقة وجودية موجود بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، الله تعالى أعلم بكيفيته وحاله لكن لا شك أن من مات عرفه؛ لأنه لا تخرج روحه بأمر الله عَزَّوَجَلَّ إلا إذا مر ملك الموت عليه وملائكة رب العالمين كما قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام].

❁ ثم ذكر أن هؤلاء الملائكة بالنسبة لما هيأهم الله تعالى له أقسام:

❍ **القسم الأول**: حملة العرش وهؤلاء من أعظم الناس خلقة، لأنهم يحملون عرش الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧] فحملة العرش هؤلاء من أعظم مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ.

❍ **القسم الثاني: الكروبيُّون**، الكروبيون ليسوا حملة العرش بل هم الذين حول العرش، قد يخلطهم بعض الناس ويقول الكروبيون هم حملة العرش، لأ حملة العرش هم الذين يحملون العرش نفسه، الكروبيون هؤلاء أيضًا صنف من الملائكة على حال عظيم أولًا في المنزلة، لأنهم حول العرش، والأمر الآخر أنهم عند الله عَزَّوَجَلَّ، فهم قريبون جدًا ولهم أيضًا هذه الخلقة العظيمة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ صنفان، الصنف الأول: حملة العرش، والصنف الثاني: من حول العرش وهم الكروبيون، قال: وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة عليهم الصلاة والسلام، الكروبيون وحملة العرش هؤلاء أشرف الملائكة، وهم الملائكة المقربون الذين قال الله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾ [المائدة: ١٧٢].

ومنهم سكان السَّمٰوات السبع يعْمرونها عِبادة دائمة ليلا ونهارا، كما في قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

❍ **قال: ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور.**

ثم قال الشيخ: الظاهر أن الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السَّمٰوات.

❍ **منهم موكلون بالجنان،** وهم خزنة الجنة، يعدون فيها الكرامات لأهلها ويهيئون الضيافة لساكنيها من مآكل وملابس ومشارب ومصاغي ومساكن مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فهؤلاء خزنة الجنة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الزمر: ٧٣] هذا صنف موكل بالجنة.

❍ **القسم الآخر: الموكلون بالنار** نعوذ بالله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الزمر: ٧١] هؤلاء الموكلون بالنار، وهم الزبانية نسأل الله العافية، وهم مقدموهم تسعة عشر، وهم الذين ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة المدثر ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾ [المدثر]، خازن النار عليه صلاة الله وسلامه، وهو مقدم على الخزنة، وهؤلاء لهم خلقة مرعبة هائلة، ومن عجيب خلقة الله عَزَّوَجَلَّ أنهم هم في النار يعذبون أهلها ولا تصيبهم النار والله على كل شيء قدير، لا يتعذبون بالنار بل يعذبون أهل النار -نعوذ بالله من حال أهل النار-، يعذبون أهل النار ولا يتضررون هم بالنار؛ لأنهم ملائكة كرام خلقوا ليعذبوا أهل النار نعوذ بالله من حال أهل النار.

قال: وهم المذكورون، مالك هو مقدم على الخزنة، وهم المذكورون في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر]، وذكر الله اسم مالك في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ﴾ أي: أهل النار ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف] هؤلاء الملائكة هذه خلقتهم: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم] فهم حسب ما أمرهم الله، إن كانوا خزنة لجهنم عذبوا أهلها، وإن كانوا خزنة للجنة دار كرامة له فهم يهيئون لأهلها ما أكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ به ويسلمون عليهم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد].

ثم ذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ وهم الذين يقومون بعذاب أهلها نعوذ بالله من حال أهل النار.

❍ **قال: ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم** هذا الحفظ لبني آدم كل آدمي قد وكل الله تعالى به ملائكة نص على أنهم من بين يديه ومن خلفه، وهؤلاء ليسو الملائكة الذين يكتبون الأعمال، من الملائكة من هو موكل بكتابة الأعمال كما قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق] هذا صنف آخر يحفظون هذا الآدمي بأمر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ ما عملهم ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ﴾ [الرعد: ١١] فإذا جاء أمر الله عَزَّوَجَلَّ تخلت هذه الملائكة عنه، ملائكة الله عَزَّوَجَلَّ تحفظه بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا جاء أمر الله للإنسان هلكة أو أمرًا شاءه تعالى تتخلى عنه؛ لأن أمر الله تعالى لا يرد، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ملائكةٌ يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء أمر الله خلوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلّا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منها شيءٌ يأتيه يريده إلا قال له: وراءك؛ وأرجعه بأمر الله؛ إلّا شيءٌ يأْذن الله تعالى فيه فيصيبه، إذا أراد الله تعالى؛ لأن الملك موكل بحفظ بني آدم، وبه تعلم أن الملائكة كثرة كاثرة، فملك يكتب السيئات وأخر يكتب الحسنات على الفرد الواحد، ملائكة من بين يديه ومن خلفه، كل شخص من بني آدم، ولهذا لا يحيط بهم إلا من خلقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❍ **ومنهم الموكّلون بحفظ أعمال العباد؛** كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

ثم ذكر أن الملائكة هذه ينبغي أن يستحيى منهم، لأن كل من تكلم بكلمة فالملائكة تكتب، استحي أن تجد في صحيفتك يا ابن كذا فلان زاني، وفلان قذر وفاجر وهو ليس حق، هذا كله تكتبه الملائكة، يقول استحي أن تكتبه الملائكة، ولهذا جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في «**المصنف**»: أنها كأن بعض أي: بني آخيها أو بني أختها أبطؤوا أو تأخروا أظنه في الليل، فقالت: ألا تريحون الحفظة، قوموا تفرقوا الحفظة تكتب كل ما تتكلمون، فالشاهد أن هؤلاء يكتبون ما يلفظ بالإنسان كما قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

ذكر الحديث الذي فيه إكرام الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وأن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: معنى

إكرامِهم أن يستحيَ منهم، فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها، يكتبون كل شيء حتى الكتبة – نعوذ بالله– شيئًا من القذف أو غيره من الكلمات القذرة النتنة يكتبونها، يقول استحيي أن تكتب الملائكة عنك هذا، ثم يرفع الكتاب في وجهك في القيامة، قال: فإن الله خلقهم كراما في خلقهم وأخلاقهم.

❍ **ثم قال ما معناه: إن من كرمهم أنهم لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب ولا تمثال** ولا يصحبون رفقة معهم كلبٌ أو جرس، أما عدم دخولهم البيت الذي فيه الكلب أو الصورة فهذا ثابت، والتمثال أخبث من مجرد الصورة، الجنب جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه وجه الجنب إلى أن يتوضأ، فلهذا جاء كلام في أمر الجنب هذا أن الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه جنب، لا شك أن من توضأ ثم نام ولم يغتسل فإنه قد خفف الجنابة، فيحتاج الحديث إلى التأمل في ثبوته من جهة الجنب، وإلا كما قلنا البيت الذي فيه الكلب أو الصورة هذا لا تدخله الملائكة، والتمثال كذلك، أما الجنب فالحديث الذي ورد فيه صححه بعض أهل العلم، لكن فعله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتوجيهه بأن يتوضأ الجنب يدل على أن من توضأ بعد الجنابة فإنها تخف هذه الجنابة، وقال الفقهاء في هذا الوضوء قولًا عجيبًا، قالوا: إن هذا الوضوء ويلغز به لا ينتقض، الوضوء هذا لا ينتقض أي: حتى لو أنه مثلًا أحدث تبول أو تغوط بعده فالوضوء هذا باقي، ويلغزون به ما وضوء لا ينتقض؟ يقصدون هذا لأن هذا الوضوء ليس مثل الوضوء الذي توضأ مثلًا للصلاة، لو أنك أي: أحدثت فإنه يرتفع هذا، قالوا: هذا الوضوء إذا توضأته هو مخفف لأن الجنابة باقية فيبقى حكمه ولا تحتاج أنك تتوضأ ثانية لو أنك أحدثت.

ثم ذكر الحديث المشهور:

۞ **قال المؤلف: « أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر».**

أحب ما للملائكة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، فمن أعظم ما يذكر الله تعالى به الصلاة، فيجتمعون في هاتين الصلاتين وهذا يدل على فضل وشرف صلاتي الفجر والعصر.

۞ **قال المؤلف: «ثم يعرجون».**

الذين باتوا يعرجون إلى رب العالمين.

قال المؤلف: «فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

فما أعظم الغبطة بأن تشهد ملائكة الله عَزَّوَجَلَّ بالعبد بين يدي رب العالمين بهذه الشهادة، ثم إن الله يسألهم وهو أعلم بهم تعظيمًا وتفخيمًا من شأن الصلاتين هاتين.

لهذا ينبغي للعاقل السوي أن يحرص ألا يحول بينه وبين هذه الصلاة إلا عذر لا فكاك منه، من مرض مقعد، أو عذر لا حيلة فيه، وأن لا يكون أي شيء من هذه الأعذار التي يتشبث بها أهل الكسل من أنهم في حال من كسب الرزق، كل شيء يقف، أعمال الحكومة كلها من رأسها إلى أعلاها كلها تقف، ما الذي يحدث؟ تتوقف الأعمال، الأعمال إذا انتهى الدوام كل الناس انصرفوا وتركوا ولم يتبقى إلا عدد قليل تتوقف كل الأعمال إلا الأعمال التي نص أهل العلم على أن للمزاول لها أن يستمر فيها مثل أعمال لو تركت وفرط فيها حصل مفاسد عظيمة مثل الأعمال التي فيها حراسة، أو الأطباء الذين يعلمون -خاصة في الإسعاف ونحوه- فهؤلاء قد يكون بين يديهم حالة لا يحل لهم شرعًا أن يتركوها تتألم وتتعذب ويقول: سأصلي فأنت على خير وعلى أجر، أما العيادات الخارجية وغيرها التي لها مواعيد ونحوه ويراجع مراجعونها المعتادون هذا لا بُدَّ أن تتوقف، كل شيء يتوقف، كل شيء من عمل من كتابة، من بناء من مدارس، كل هذا لا بُدَّ أن يتوقف يوقف الأعمال ثم يصلى وكم سيصلي سيصلون عشر ساعات؟ سيصلون دقائق معدودة ثم يعودون إلى أعمالهم، فشأن الصلاة شأن عظيم، ولهذا نوه الله به في آخر الحديث اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء] أي تشهده الملائكة عليهم الصلاة والسلام.

ثم ذكر حديث مسلم:

قال المؤلف: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوتِ الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا».

حصلت هذه الأمور الكريمة لهم، أولًا: «**نزلت عليهم السكينة**»، ونزول السكينة من نعم الله عَزَّوَجَلَّ، وهو مما امتن الله تعالى به وذكره حتى لنبي الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، «**وغشيتهم الرحمة**» نسأل الله الكريم من فضله، «**وحفتهم الملائكة**»، الملائكة إن لله ملائكة فضلى هؤلاء الفضل غير الملائكة الذين لهم الأعمال مثل كتابة الأعمال وأعمال العباد، ما عملهم؟

يلتمسون حلق الذكر من محبتهم لذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله قال بعضهم لبعض: هلموا إلى حاجتكم، هم أتوا يبحثون عما يذكرون الله تعالى، فحفوهم حتى يصلوا إلى السماء الدنيا، وهذا أيضًا يدل على شرف مجالس العلم وعظيم قدرها؛ لأن مجالس العلم هي من أعظم وأكرم مجالس الذكر، فهذه الملائكة عليهم الصلاة والسلام تبحث عن مثل هذه المجالس، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وذكرهم الله فيمن عنده**»، وهذه الكرامة العظيمة السنية بأن يذكرهم الرب عَزَّوَجَلَّ فيمن عنده أي من الملائكة، ثم قال: «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» الذي عنده عمل ضعيف هزيل لا يعتمد على ما لا ينفعه من أنا من كذا ابن فلان من قبيلة كذا، هذا لم ينفعك في الآخرة، وكل هذه الأمور كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] تنقطع الأنساب ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ ما يبقى بعد رحمة الله تعالى إلا العمل، ولهذا جاء عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن الرجل يمر على الصراط مرورًا بطيئًا جدًا فيقول لرب العالمين: يا رب أبطأت بي فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ما أبطأت بك أبطأ بك عملك، فالعمل -نسأل الله أن لا يكلنا إليه- ولكن من الأهمية بمكان المحافظة على العمل، وعدم التفريط فيمن عظم الله تعالى من شأنه وأمر به في كتابه وأرسل به رسوله، لا شك أن هذا دال على عظم هذه الأعمال من صلاة وزكاة وبر الوالدين وصلة للأرحام وقيام بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا أبطأ بالإنسان هذا العمل لو كان أشرف الناس نسبًا فإنه لن ينفعه.

ثم قال -وهذا الحديث من شرف العلم وأهله-:

۞ قال المؤلف: «إِن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع».

ويأتي إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أي: حبهم وإجلالهم وإكرامهم لطالب العلم فإنهم يضعون أجنحتهم نوعًا من إكرام طالب، لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع.

ثم قال: والأحاديث في ذكرهم عليهم الصلاة السلام كثيرة جدا، الأحاديث في هذا ولهذا أفرد بعض أهل العلم فيهم كتبًا خاصة، وذكر أهل العلم في أثناء كتب العقيدة شيئًا من أعمالهم، وتوسع في هذا بعضهم كالشيخ حافظ رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في «**معارج القبول**» وذكر أحاديث كثيرة وأعمالًا فالكلام في الملائكة يطول عليهم الصلاة والسلام.

❁ **قال المؤلف: «باب الوصية بكتاب الله** عَزَّوَجَلَّ».

وقول الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الزخرف].

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد؛ ألا أيها النّاس فإنما أنا بشر، يوشك أن يأْتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلينْ، أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي**»، وفي لفظٍ: «**كتاب الله هو حبل الله المتين؛ من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة**» رواه مسلم.

وله في حديثِ جابرٍ الطويل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبة يوم عرفة: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إِن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تُسألون عني؛ فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إِلى السماء وينْكتها إِلى الناسِ: «**اللّٰهمَّ اشهدْ**» ثلاث مرات.

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ألا إِنها ستكون فتنة**» قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخْلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمِعتْه، حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ [الجن] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدِي إلى صراط مستقيم**» رواه الترمذي وقال: غريب.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئًا، ثم تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾ [مريم]**» رواه البزار وابن أبي حاتمٍ والطبراني.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سورانِ، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعند رأس الصراط داعٍ يقول:**

استقيموا على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك داعٍ يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه».

ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة محارم الله، وأن الستور المرخاة حدود الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلبِ كل مؤْمِن. رواه رزِين، ورواه أحمد والترمذي عن النواس بن سمعان بِنحوه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] فقرأ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ قالت: قال: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم**» متفق عليهِ.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًّا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سبلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] رواه أحمد: والدارمي والنسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكتبون من التوراة فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**إن أحمق الحمقِ وأضل الضلالة قوم رغِبوا عما جاء به نبيهم إلى نبي غير نبيهم، وإلى أمة غير أمتهم**» ثم أنزل الله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت] رواه الإسماعيلي في «معجمه» وابن مردويه.

وعن عبد الله بن ثابت بن الحارثِ الأنصاري رضي الله عنه قال: دخل عمر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بكتابٍ فيه مواضع من التوراة فقال: هذه أصبتها مع رجل من أهل الكتاب، أعرضها عليك، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيرا شديدًا لم أر مثله قط، فقال عبد الله بن الحارث لعمر رضي الله عنه: أما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال عمر: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمَّدٍ نبيًا، فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «**لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم**» رواه عبد الرزاق وابن سعد والحاكم في «الكنى».

هذا الباب في وصية الله عَزَّوَجَلَّ ووصية نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآن، وهذا كثير جدًا في النصوص اقتصر منه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى على بعضها تنبيهًا على بقيتها.

قال المؤلف: «يقول تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الزخرف: ٣]».

الحمد لله أنزل الله عَزَّوَجَلَّ كتابًا منه إليك يخبرك فيه بالحق، ويحذرك فيه من الباطل، ويبين لك العقيدة الحق، وهو عَزَّوَجَلَّ الذي تمت كلمته صدقًا وعدلًا ماذا تريد بكلام كل أحد بعد كلام الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!! ولهذا قاعدة عند أهل الإسلام الذين عرفوا الإسلام حقًا: **(كل قول خالف ما في كتاب الله تعالى فإنه يضرب به عرض الحائط حتى لو كان قائله ذو فضل وإمامة).**

ولهذا الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى لما سأله رجل وقال: يا أبا عبد الله ما حكم كذا فأفتاه مباشرة بالحديث؛ لأن من طرق الفتوى أن تأتي بالنص مباشرة، فقال رجل: تقول بهذا يا أبا عبد الله أي: تقول بالحديث، استغرب الشافعي هذا الكلام، قال: رأيت في وسطي زنارًا، الزنار: هو الذي يشده اليهود والنصارى من أهل الكتاب على أوساطهم، رأيتني في كنيسة، هو ذا أنا في مسجد من مساجد المسلمين أحدثك أقول قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول لي تقول به؟ نعم، أقول به، وفرض على من بلغه أن يقول به، ولهذا لما قيل له مثل هذا السؤال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى التفت إلى تلاميذه وقال لما قيل له تقول بالحديث؟ قال: أشهدكم أني إذا رويت حديثًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أقل به اشهدوا علي أن عقلي قد ذهب أني جننت، عدوني في المجانين، يأتيني كلام عن الله وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقال لي أنت تقول به؟ وما أنا حتى لا أقول به تراني يهوديًا أو نصرانيًا، في الحقيقة كلمة تقول بالحديث تقول بما في القرآن أنها اقرب إلى اتهام الإنسان في دينه من أن تكون سؤالًا يستفتى به.

لو أنك قرأت قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة: ١١] فقال قائل: تقول إن للموت ملكًا؟ لك أن تقول له تراني كافرا، تراني زنديقا حتى اقرأ قرآنا من كلام الله وتقول لي تقول به، إذا لم أقل به فأنا كافر، كيف تسألني هذا السؤال؟ كيف تقولي لي تقول به؟ هذا ليس رأي فلان أو فلان.

ولهذا تميز أهل السنة بهذه الميزة العظيمة، تعظيم كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديم كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كلام كل أحد، ولهذا قال عمر رضي الله عنه، أو عمر بن عبد العزيز: ردوا

الجهالات إلى السنة، إنسان أخطأ قد يكون عنده علم، قد يكون عنده عبادة، رد جهالته إلى السنة، إذا رددتها إلى السنة تبين أنها جاء ضربت بها وجه الحائط وانتهيت، فلهذا الأمر بلزوم القرآن ولزوم السنة لم يحققه في أمة الإسلام حقًا إلا الذين لزموا مسلك نبيهم صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا يحتاج منك إلى علم حتى تعرف كلام الله وتعرف معانيه، وتعرف كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقة الصحابة رضي الله عنهم في فهمه، ولهذا هذه مسألة من مسائل المفاصل الكبار بين الإيمان والكفر، والسنة والبدعة، والهدى والضلال، لزوم هذه الآيات العظيمة واتباع ما أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ في نفس الموضع الذي أمرنا به في اتباع ما أنزل الله نهينا أن نتبع من دون الله تعالى أولياء.

ثم ذكر حديث زيد رضي الله عنه:

۞ **قال المؤلف: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب فقال: «ألا أيها النّاس فإنما أنا بشر، يوشك أن يأْتيني رسول ربي فأجيب»**.

أي: فأموت.

۞ **قال المؤلف: «وأنا تارك فيكم ثقلينْ، أوّلهما كتاب الله»**.

ما الذي في كتاب الله؟!.

۞ **قال المؤلف: «فيه الهدى والنور»**.

وإذا كان فيه الهدى فمن أخذ به فسيهتدي، وإذا كان فيه النور فمن أخذ به فسيستنير له الطريق ويعرف الفصل في المسائل التي اختلف فيها، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فالهداية تكون من خلال النصوص، «**فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به**» فحض على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي**»، أي أنه تارك فيهم أهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قرابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أهل بيته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن فيجب أن يرعى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقه كما سيأتي، ويرعى أيضًا لأهل بيته الكرام من قرابته المؤمنين وعلى رأس قرابته أمهات المؤمنين اللاتي سماهن الله باسم شريف لا نظير له؛ لأن الأمومة تأتي من الرضاعة أو من النسب، فكيف تكون امرأة من قريش أمًّا لرجل في العجم؟ جمعهم أعظم جامع وأجل من الأمومة وأجل من الرضاعة

وهو جامع الإيمان، سماهن الله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦] وهكذا بقية القرابة الكرام من قرابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا أيضًا أصحابه الأجلاء رضي الله عنهم وأرضاهم فإن النصوص عمومًا في كتاب الله وفي سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثت على رعاية حق هؤلاء الكرام الذين هم أولى بالإكرام من غيرهم لقرابتهم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولصحبتهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجاء في الحديث أن كتاب الله فُسّر به قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧] فقيل: إن حبل الله هذا هو القرآن، وقيل إنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: أنه الإسلام، وكل هذه أشياء متلازمة، أن القرآن من دين الله والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلغ ما أنزله الله: «**من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة**».

❁ **قال المؤلف: «وفي حديثِ جابرٍ الطويل».**

مراده بالطويل هنا: الحديث الطويل الذي ساقه جابر رضي الله عنه في وصف حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما ذكر خطبته في عرفة ذكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به؛ كتاب الله**»، ثم قال: «**وأنتم تسألون عني؛ فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، هكذا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أي: أنه رفع أصبعه هكذا، وينْكتها إلى الناسِ يعيدها إليه ثانية يقول: «**اللّهمَّ اشهدْ**» وهذا من أظهر أدلة العلو لله عَزَّ وَجَلَّ، لأنه خطب في أكثر من مائة ألف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقال أمامهم مستشهدًا الله مشيرًا إليه أنه في العلو: «**اللّهمَّ اشهد**» ثلاث مرات أني قد بلغت.

❁ **قال المؤلف: «وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة...» الحديث.**

هذا الحديث من رواية الحارث الأعور، ولا يثبت مرفوعًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد يكون من كلام علي رضي الله عنه؛ لأنه وصف دقيق ومستقيم للقرآن العظيم، لكن لا يثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه ستكون فتن، فسئل: ما المخرج منها، ما الذي فيه؟ «**فيه نبأ ما كان قبلكم**»، الأنباء التي سبقت، وفيه «**وخبر ما بعدكم**»، المستقبلات، «**وفيه وحكم ما بينكم**» من الحكم الحق، «**هو الفصل، ليس بالهزل**».

ولهذا ينبغي دائمًا عند مسائل القرآن وقراءته وتلاوته وبيان أحكامه والسنة عمومًا والعلم أن يلاحظ فيه الفصل وعدم الهزل والنكات والأساليب التي تستخدم من قِبل من قل نصيبه من العلم، الموضع موضع فصل قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾ [الطارق] لا يخلط بضحك الضاحكين حتى إنه يسمع بعض الأحيان ضحكات كأنهم في موضع -نسأل الله العافية- كأنه أهل السفه من أهل التمثيل ومن أهل الأغاني، يضحكون ما عند هؤلاء؟ قالوا: هذه محاضرة، أي محاضرة؟ محاضرة هذا الضحك المتوالي، ثم يقال إنه يؤتى بشرح كتاب الله، كتاب الله ينزه، والعلم ينزه عن أن يجتلب بهذه الأساليب التي وقع فيها من قل نصيبه من العلم، العلم ليس موضعًا لإضحاك الناس، ولهذا كان أحد قضاة المدينة يضحك الناس، فمر سفيان الثوري -وكان من أعظم أهل العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر-، كان يبدو أن يجتمع الناس عنده فعنده نوع من المزاح والضحك فلما مر به سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال له: يا شيخ أما علمت أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون، يريد قول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٢٧﴾ [الجاثية] أي: ماذا تفعل أنت؟ هذا فعل البطالين والعطالى لا يليق بك، يقول: فلم تزل تعرف فيه حتى لقي الله، أي: تأثر من هذه الكلمة ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٢٧﴾.

ينبغي أن يفرق بين الإنسان إذا جلس في مجالس في استراحات، وفي مجالس مع أهله وإخوانه، في بر ونحوه، هذه مجالس يكون فيها شيء من الرحابة ويكون فيها شيء من المزاح المنضبط الذي ليس فيه كذب، وليس فيه استخفاف واستهزاء، والمزاح المنضبط على وفق الشرع، لكن ينقل المزاح وينقل ما عند البطالين إلى مجالس العلم؛ لا والله ما يفعل هذا إلا من قل نصيبه من العلم.

❍ **ولهذا إن أهل العلم لهم سمت،** تجد أن لهم سمت، تجد سمت الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سمت الشيخ محمد وأمثالهم على حال من السمت والأدب، وحتى لو وجدت أشياء توجب نوعًا من الابتسام ونحو ذلك، هذه الأشياء تعرض عرضًا عروضًا كما كان قد يؤتى في مجلس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الكلمة فيبتسم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من كلمة أحد الصحابة من آثار كلمة قالها أو نحوه، لكن المواضع التي فيها الجد وفيها الشرح والبيان لكلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أمور الجنة والقبر ونعيمها وعذابه، ما المزاح هنا؟ ما موضع المزاح، ليس للمزاح هنا موضع؛ لكن لو مر شيء يعرض مثل حدث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن رجل من أهل الجنة اشتهى الزرع، الحديث في البخاري، فقال

الله عَزَّوَجَلَّ له: يا ابن آدم وأنت فيما هنا في هذه النعمة وفي هذا تشتهي الزرع، الزرع معروف أن فيه الكد والتعب والكلفة، ولأن الجنة إذا اشتهى الإنسان فيها شيئًا فإنه يناله مباشرة، فحقق الله تعالى له مراده، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فبذر الطرف بذر واستوى واستئصاله**» بذر الدر بذر العين بذر واستوى وحصد فصار كأمثال الجبال، فقال الله تعالى: «**دونك يا ابن آدم فإنه لا يشعبك شيء**» فقال رجل من الأعراب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والله لا تجد هذا منا، لا تجده إلا أنصاريًا أو مهاجريًا فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا أصحاب زرع، فتبسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: مثل هذه المواضع التي يحدث فيها مثل هذا توجب شيئًا من التبسم؛ لأن هذا الرجل يقول نحن معاشر البادية ليس هذا الرجل منا، وهنيئًا له أن يكون من أهل الجنة لكن يقول ليس منا، لم؟ استنبطه استنباط، يقول نحن أهل البادية ما عندنا زرع، هذا الرجل إما من الأنصار أو من المهاجرين، سيكون من أهل الجنة لكن هم الذين يشتهون الزرع ويتذكرون الزرع، مثل هذه المواضع التي تجد أنها مواضع تمر مرورًا لكن لا تتكلف، أجمع الناس ليلقي محاضرة ويقول قال الله وقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد فترة يهيج المكان صراخًا وضحكًا، ينبغي أن يرفع كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل هذا، لكن إذا دخل في العلم ليسوا من أهله قلبوا هذه المسائل إلى هذا.

❍ **ولهذا كما يقول بعض السلف:** يجلس الرجل إلى العالم المجلس الواحد فما يقوم حتى يعلق منه بشيء، يعلق منه بحكم فقهي، بأمر تعلق بالعقيدة، تجد أن هذا الشخص حتى لو كان عاميًا لو سألته قال: أنا استفدت اليوم كذا، ويجلس إلى القاص سنة لا يعلق منه بشيء، أخبار وقصص وأحوال وربما ما يسمونها الطرائف وكذا؛ لأن القاص ما عنده علم ولكن عنده أخبار وقصص وقال وقيل واتصل بفلان واتصلت بفلانة.

❍ **فينبغي لطالب العلم أن يتخطى طريق العلم** كما سيأتي إن شاء الله تعالى، العلم والسلوك الذي ينبغي أن يسلكه في تحصيل هذا العلم. ولهذا هو الفصل ليس بالهزل، حبل الله المتين لا تشبع منه العلماء، يقول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**لو طابت قلوبكم ما شبعتم من كتاب الله**)، ومن عجب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يختم القرآن في ليلة، ما في ثلاث ليال، في ليلة واحدة، وكان يستغرق القرآن ليله معظمه، وإن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أن يختم القرآن أن لا تقل ختمته في ثلاث، لكن الشاهد منه الفرق والبون الكبير بيننا وبينهم، ليس

الكلام في موضوع أن يختم في ليلة، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنته مقدمة على كل أحد، لكن انظر إلى قوله: (لو طابت قلوبكم ما شبعتم من القرآن)، لأنه جاء في مكة جاء عند مقام إبراهيم، يقول الراوي: فكبر ولم يوتر إلا ركعة واحدة، ركعة واحدة يوترها عثمان، صحابي نعم لكن هو قرأ فيها القرآن كله، بدأ بالفاتحة وانتهى بالناس رضي الله عنه وأرضاه؛ لأنه سيقرأ القرآن كله؛ فلهذا جعل قراءته مرة واحدة رضي الله عنه، إذا طاب القلب لم يشبع من القرآن، تجد الإنسان إذا قام وضع المصحف يضعه وقلبه متعلق به، يود وفي بعض الأحيان يقول: سأقرأ منه مقدار كذا، لكن يقول بل سأزيد، هذه طبيعة من تعلقت قلوبهم بالقرآن؛ لهذا قال: (**لا تشبع منه العلماء**)، لا يشبع من القرآن، ومع ذلك لا يخلق عن كثرة الرد أي: قرأت مثلًا اليوم سورة القيامة ثم قرأتها ثانية، ما تمل مثل لو أنك قرأت كلامًا من كلام الناس أو غيره ثم قرأته أخرى، وهكذا إذا ختمت القرآن ما تقول: أنا ختمته سأستريح سأجلس فترة لا أقرأ القرآن أبدًا تتشوق إلى ختمته ثانية، لما فيه من العظمة ولأجل ما ينبغي أن يحرص عليه أيها الإخوة، القرآن الحرف منه بعشر حسنات، وأحرف ثلاثمائة ألف وواحد وعشرون ألفًا ومائة وواحد وثمانون حرفًا، كما ذكر ابن كثير ثلاثمائة ألف وواحد وعشرون ألفًا ومائة وواحد وثمانون، إذا ختمت القرآن مرة وقبل الله منك ثلاثمائة ألف وواحد وعشرون في عشر حسنات الختمة الواحدة تزيد على ثلاثة ملايين حسنة، إن الله تعالى قبلها؛ لهذا كن حالًا مرتحلا كلما انتهيت من ختمة استعن بالله واختم ثانية.

❁ **قال المؤلف: «لا تنقضي عجائبه».**

من عجائب القرآن العظيمة أنت تقرأ مثلًا سورة التوبة تقرأها عدة مرات في حياتك، ثم بعد أن قرأتها ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ وختمت القرآن ما شاء الله، قرأت وإذا في سورة التوبة أو يونس أو هود أو فصلت أو يس هذه السورة التي قرأتها عدة مرات تفطنت فيها لآية كأنك تقرأها لأول مرة، من عجائب القرآن، وتجد فيها من أعظم ما في القرآن، وهذا ينبغي أن يتفطن له طالب العلم، أعظ ما يرد به على كل مبطل بدون استثناء، ملحد، نصراني، يهودي، رافضي، صوفي، أعظم الحجج القرآن، لكن لا يتفطن لها إلا من قبل من تدبره، عجائب الردود القرآنية عجيبة للغاية، وميزتها أن تدحض دحضًا تقطع، ما في مجال أنك تقول والله هذه حجة قالها فلان من الناس ورد عليها أحد، ما يمكن أن يرد على كلام الله عَزَّوَجَلَّ أو ينقض -معاذ الله-.

ولهذا كلما أقبل طالب العلم على القرآن كان من دلائل توفيقه، ولهذا يعتب على طالب العلم الذي يمضي عليه شهر لا يختم كتاب الله، كم سيأخذ منك؟! تعجز أن تجعل نصف ساعة يوميًا تقرأ فيها القرآن، لو فرغتها نصف الساعة، صليت من الليل ربع ساعة، وبعد أن صليت أحد الفروض في المسجد قرأت عشر دقائق، في بيتك قرأت دقائق، وفي طريقة الحقيقة طيبة جدًا لختم القرآن بأن تجعل قراءتك داخل النوافل تريد أن تصلي الضحى أنت مثلًا وقفت على سورة تبارك، اقرأ من تبارك، أتيت في الليل اقرأ بعد ذلك من نون، بحيث تجعل قراءتك مستديمة، وهكذا في صلواتك، وليس معنى هذا أنك تلتزم من هذا ليس لزامًا، بعض الأحيان تقرأ من ختمتك ومن غير ختمتك؛ لكن هذا لا شك تجعلك تقرأ، وهكذا الآن في مثل هذه الأوقات قد يسافر أي: بعض الناس سفرات طويلة، ويبقى في السيارة الناس لأن قد يبقى الواحد منهم في السيارة بالساعات فرصة اقرأ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا سيما إذا كان الوضع متهيئًا، لأنه قد يمشي الإنسان في طريق يستمر فيه الطريق سالك ليس مثل الطرق التي فيها توقفات وفيها إشارات اقرأ لا تكف، أو اقرأ ما يسر الله عَزَّوَجَلَّ واجعل هذا من ضمن قراءتك، وستجد أن الختمة الواحدة في كتاب الله في الشهر من أيسر ما يكون سهلة جدًا، لكن إذ وضعت دونها شيئًا من العقبات وتصورتها عسرة لن تختم ولا في خمسين ولا في ستين يومًا، لكن لو أن الإنسان أقدم وجرب وهو ينبغي أن يقرأ طالب العلم قراءته ليست كقراءة العامي يفتح المصحف يومًا على الإسراء ويقرأ، يقرأ منها مثلا عشرين آية ثم الفرض الذي بعده يفتح يس ويقرأ، اقرأ قراءة بختمة هكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقرؤون، اقرأ قراءة بختمة تبدأ بالفاتحة وتنتهي بالناس، وتمر على جميع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وتستمر على هذا الحال.

في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الحلال والحرام مبين:

قال المؤلف: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية».

وهكذا الوارد أيضًا في نصوص السنة، الذي هو ما الحلال؟ الذي أحله الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما الحرام؟ الذي حرمه الله ورسوله، الذي سكته الله عنه فلم يحرمه هو عافية لا تنقب ولا تشدد الله تبارك وتعالى حين لم يذكره لم يكن حاشاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لم يكن ناسيًا؛ لهذا قال: «**فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا**» ثم قرأ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم]

ذكر بعد ذلك حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي هذا المثال العظيم:

❁ **قال المؤلف: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سورانِ، فيهما أبواب مفتحة».**

هذان السوران كل سور فيه أبواب مفتحة، هذه الأبواب المفتحة، على رأس الأبواب.

❁ **قال المؤلف: «ستور مرخاة، وعند رأس الصراط داعٍ يقول: استقيموا على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك داعٍ يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه».**

أي: تدخله.

ثم فسر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصراط وهذه الأبواب قال: فالصراط هو الإسلام، والأبواب المفتحة محارم الله، والستور المرخاة -دون هذه المحارم- حدود الله، والداعي على رأس الصراط هو القرآن، والداعي من فوقه هو واعظ الله في قلبِ كل مؤْمِن.

حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديثها أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] حتى أتم الآية: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ بيّن الله في هذه الآية العظيمة أن القرآن نوعان، منه آيات محكمات وهي الواضحة الجلية المعنى، وأخر متشابهات؛ لا يتضح معناها إلا إذا ردت إلى الآيات المحكمات، فإذا ردت إلى الآيات المحكمات تجلى وتبين معناها، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه، يذهبون إلى المتشابه وماذا يريدون؟ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، يريدون الفتنة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ هنا وقف، ثم استأنف: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾.

❍ **نعطيك مثالًا حتى يتضح المراد، الآيات المحكمات هي الآيات الجلية الواضحة،**

ما الآيات المتشابهات؟ نعطيك واحدة منها تكون مثالًا على غيرها يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الأنعام: ٣] قد يظن الجاهل أن الله في الأرض كما أن الله في السماء، يقال: هذا غير صحيح، هذه الآية من الآيات المتشابهات، كيف تفهمها؟ بردها إلى الآيات المحكمات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌۚ﴾ [الزخرف: ٨٤] ما المقصود بالإله؟ المعبود أي: أنه

معبود أهل السَّمٰوات ومعبود أهل الأرض سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٣] أي: هو المعبود في السَّمٰوات وفي الأرض، أما الله أين الله؟ في السماء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ للجارية، وكما قال رب العالمين في سورة تبارك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية بعدها: ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧] وربنا فوقنا ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[النحل: ٥٠]، والنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عرج به إلى ربه صلوات الله وسلامه عليه، حتى جاوز السبع الطباق وكلمه الله تعالى كفاحًا وفرض عليه الصلاة ثم نزل إلى السماء السادسة، صارت السماء السادسة نزولًا، فقال له موسى: إن أمتك لا تطيق - أي: الخمسين- فصعد به جبريل إلى رب العالمين فخفف عليها إلى أربعين وهكذا، أدلة جلية ظاهرة، إذًا قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٣] أي هو الله المعبود في السَّمٰوات من قِبل أهلها، وهو المعبود في الأرض كما في الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾.

❍ **وقال بعض أهل العلم:** إن في الآية وقفًا، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ثم هناك استئناف ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ فتكون الآية الآن فيها استئناف جملة جديدة، أن الله في السَّمٰوات كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم قال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ أي: أنه وهو في السَّمٰوات سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يعلم سركم وجهركم وأنتم في الأرض، هذه الآية إذا جاء أحد قال: الله في الأرض -نعوذ بالله من هذا المقالة-، والدليل قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تذهب إلى المتشابه، وتترك الآيات المحكمات، مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، مثل قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[النحل: ٥٠]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وحديث المعراج أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عرج به فرأى في السماء الأولى آدم، ثم في السماء الرابعة هارون، ثم في السماء الخامسة فلان من الأنبياء، ثم في السماء السادسة من الأنبياء موسى، ثم في السابعة إبراهيم ثم ارتفع به في مستوى سمع فيه صريف الأقلام، كله دال على أن الله تعالى في السماء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ليس معناه أن الله في الأرض -معاذ الله-، لكن إما أن يقال أنه يوقف هنا ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فتنتهي القراءة ويستأنف بقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ﴾ أي: أنه في السَّمٰوات ويعلم سركم في الأرض، أو توضح الآية بالآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ أي: أن الله تعالى معبود أهل السَّمٰوات ومعبود أهل الأرض سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فيذهب

صاحب الزيغ، فأما الذين في قلوبهم زيغ، يذهب إلى الأشياء المتشابهة ويستدل بها، ويترك المحكمات الجلية البينة، وهذه علامة، وفيها فائدة كبيرة جدًا تبيين أهل الزيغ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام] نعرف أنه من أهل الزيغ، وأنه من المجرمين بأن يترك المحكم الجلي البيّن، ويذهب ليخوض في المتشابه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم**».

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطًّا بيده، خطًّا مستقيمًا وقال: «**هذا سبيل الله**» أي هذا طريق الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سبلٌ**» أي: طرق «**على كل سبيل منها شيطان** -نسأل الله العافية- **يدعو إليه**» كل سبيل يبعدك عن السنة فإنه سبيل من سبل الشياطين، ولهذا الرافضة سبيلهم سبيل شيطان، الصوفية سبيلهم سبيل شيطان، الخوارج سبيلهم سبيل شيطان، أهل الكفر من الليبراليين والعلمانيين والشيوعيين سبيلهم سبيل شيطان، شيطان يدعو إلى الصد عن هذا السبيل كما قال تعالى عن إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٦-١٧]، وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: للشيطان محجتان -طريقان- لا يبالي بأي منهما سلك العبد، إفراط أو تفريط، هو ما يهمه أن يكونه رافضي، أو خارجي، المهم أن يزيغ عن السنة، أما كونه يكون رافضيًا هذا قرة عين الشيطان، فإن لم يكن رافضيًا وصار خارجيًا تقر عين الشيطان؛ لأنه في الحالتين أبعد عن الصراط المستقيم ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فخط النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الخط وأخبر أن هذه هي السبل.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان السبل هذه: البدع والشهوات، هي السبل، هي الطرق أيًّا كان هي البدع، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، في هذا الحديث والحديث بعده الآتي أن من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كانوا يقرؤون أو يكتبون شيئًا من التوراة مع أن التوراة فيها حق لا شك أن فيها حقًّا، لكن قد أغنانا الله بالحق الذي في القرآن عن كل شيء ولله الحمد والمنة فكانوا يكتبونها فعتب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا من الحمق ومن الضلال أن يرغب عما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبعوث إليهم ويبحث عن أمة ما الذي كان فيها، وما الذي

أنزل على كتاب نبيها؛ لأن هذا يؤدي إلى الغفلة عن الحق الذي أنزل على هذه الأمة، فالأمة ينبغي أن تنشغل بما أنزل إليها، ولكن إذا احتاج أهل العلم -ممن رسخت أقدامهم في العلم الشرعي وفي بيانه- أن يقرؤوا في كتب أهل الكتاب ليستدلوا على أهل الكتاب، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران] في قصة الزانيين، فقد يحتاج إلى مناقشتهم ومحاجتهم، لكن إن كان الإنسان يريد هداية قلبه ورقته وصلاحه بالذي في الإنجيل أو في التوراة لا شك أنه غالط غلطًا بيّنًا، وأنه لا يحل أصلًا أن توجد التوراة والإنجيل في بلاد المسلمين تتداول، ولهذا ولله الحمد هنا هي تصادر مصادرة تامة، ولا تبقى وليس لأحد أن ينشرها ويعاقب إذا هو نشرها، في القرآن ولله الحمد الغنية.

جاء في الحديث أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دخل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتاب فيه أشياء من هذه التوراة وأخبره أنه كتبها أو أصابها من رجل من أهل الكتاب، يريد أن يعرضها على ا النبي فتغير وجه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغيرًا شديدًا، حتى قال عبد الله بن الحارث: ثكلتك أمك يا عمر أما ترى وجه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فتفطن عمر لأنه كان يقرأها والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغير وجهه، فقال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمَّدٍ نبيًا، فسري عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقبل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عذر عمر في ذلك، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: أنا أعرضها ولا ينشرها على الناس، أتى ليعرضها على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصوب أو يخطأ أو يقول لا تقرأها، فقال: «**لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم**» إذا كان هذا الكلام الشديد فيمن يقرأ كلام ما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ في التوراة، وما أنزل في الإنجيل، فما بالك بأعداء الله الذين نقلوا إلينا في هذه الأمة كلام زنادقة الشرق والغرب من الملاحدة، من الشيوعيين أو الوجوديين، أو العلمانيين، وروجوا لأفكارهم وقال: إن أفكارهم هي المناسبة ماذا تتصور أن يكون حالهم؟ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يقرأ هذا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعجبه إلا لما فيه من المواعظ، ولما فيه من الرقة، ولما في التوجيه فأراد أن يعرضه على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هؤلاء القوم الذي في كتبهم هو السم الزعاف، الإلحاد الصريح والكفر البواح، فإذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا لعمر وقال هذا لمن كتبوا من التوراة والإنجيل، فما بالك بمن يأتي بكتب هؤلاء الزنادقة وينشرها، لا شك أنه أعظم ضلالة وأشد إثمًا وأخبث فعلًا.

❁ **قال المؤلف:** «باب حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ الآية [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النور]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ الآية [الحشر: ٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله ويؤْمِنوا بي، وبما جِئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عَزَّ وَجَلَّ**» رواه مسلم.

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث من كن فيه وجد بِهِن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إِليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحِبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النَّار**».

ولهما عنه مرفوعا: «**لا يؤْمِن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**».

وعن المقدام بن معدِي كرِب الكِندِي رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يوشِك الرجل متكئًا على أريكتِهِ يحدث بحديثٍ من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه!! ألا وإن ما حرم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما حرم الله**» رواه الترمذي وابن ماجه.

باب تحريضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك، وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ الآية [الشورى: ١٣].

وعن العِرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعِظة بليغة، ذرفتْ منها العيون، ووجِلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعِظة مودع فما تعهده إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجِذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بِدعةٌ وكل بدعةٍ ضلالة**» رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه.

وفي رواية له: «**لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا...**» ثم ذكره بمعناه.

ولمسلم عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهديِ هدي محمد** صلى الله عليه وسلم**، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعةٍ ضلالة**».

وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل أمتي يدخلون الجَنَّة إلا من أبى**» قيل: ومن أبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجَنَّة: من عصاني فقد أبى**».

ولهما عن أنسٍ رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفِر له ما تقدم من ذنبِهِ وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم النهار ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباءِ**» رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**». رواه البغوي في «شرح السنةِ» وصححه النووي.

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل**

بالنعلِ؛ حتى إنْ كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل افترقت على ثِنتين وسبعين مِلة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النَّار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» رواه الترمذي.

ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجورِ من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامِهم شيئا**».

وله عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنه أبدِع بي فاحْمِلْني، فقال: «**ما عندي**» ، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من دل على خيرٍ فله مِثل أجرِ فاعِلِه**».

وعن عمرو بن عوفٍ رضي الله عنه مرفوعا: «**من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل أجر من عمل بها من الناس ما ينقص من أجور الناس شيئا، ومن ابتدع بدعة لا يرضاها الله ورسوله فإن عليه مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص من آثام الناس شيئا**» رواه الترمِذي وحسنه وابن ماجه، وهذا لفظه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويَهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة يجري الناس عليها؛ فإذا غُيّر منها شي قيل: تركت سنةٌ. قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرَّحمٰن؟ قال: إذا كثر قراؤكم، وقل فقهاؤكم، وكثرت أموالكم، وقل أمناؤكم، والتمِستِ الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين. رواه الدارِمي.

وعن زياد بن حديْر رضي الله عنه قال: قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدِمه زلة العالِم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضِلين. رواه الدارمي أيضًا.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها؛ فإن الأول لم يدع للآخرِ مقالا، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم. رواه أبو داود.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم

الله لصحبةِ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبِعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم. رواه رزين.

وعن عمرو بن شعيبٍ عن أبيهِ عن جدهِ قال: سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوما يتدارؤون في القرآنِ فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بهذا؛ ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضًا فلا تكذبوا بعضه بِبعضٍ، فما علمتم منه فقولوا، وما جهِلتم فكِلوه إلى عالمه**». رواه أحمد وابن ماجه».

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى هذين البابين؛ الباب الأول في حقوق نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعظم المخلوقين حقًا على الإطلاق هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأمة، لا يوجد أحد من الخلق هو أعظم في حقه على هذه الأمة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا والداك ولا غيرهم.

ولهذا وجبت محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبة أعظم من محبة الوالد والولد والناس أجمعين، بل كما سيأتي وجب عليك وجوبًا أن تحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من نفسك؛ لأن الله تعالى به أنقذنا من الضلالة، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [الجمعة] فلا تدرك المنة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخلق، ولا أحد أعظ منًا من الرب عَزَّوَجَلَّ الذي أرسله، وأكرمنا به ونحمده تعالى أن جعلنا أتباعًا لهذا النبي الكريم، -ونسأل الله أن يثبتنا على هذا الطريق حتى نلقاه ويجمعنا به في الفردوس الأعلى ووالدينا وذرارينا وأحبابنا إنه على كل شيء قدير-.

أعظم الناس حقًا عليك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا لا يوجد شدة على الأمة أعظم من أن يتعرض لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالتعرض لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جريمة تبلغ في الفداحة والكبر ما لا يمكن أن تبلغه ولا حتى جرائم قطع الطريق وقتل النفس؛ لأن حق هذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق عظيم، وأجل حقوقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعته، أما ما يفعله الطرقية وأضرابهم من الذين اكتفوا من شأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعاوى حبه مع مخالفة سنته بل ومع حرب سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحرب العقيدة التي جاء بها فهذه محبة الكذابين، ولو تصور أنهم صادقون فإنها محبة لا تنفعهم، أعظم ما ينبغي أن ينبعث من حقوقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يطاع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تخضع بيوتنا ومدارسنا ووزاراتنا وأسواقنا وكل أحوالنا لأحكام الله عَزَّوَجَلَّ؛ طاعة لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما أن يكون حال الناس على أشد ما

يكون من المخالفة، ثم يقول قائل: أنا أحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المحبة الحقيقية هي المحبة التي تبعث على الطاعة، ولهذا لما ادعى قوم محبة الله امتحنهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] أليس هو مرسل من عند رب العالمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمينًا على هذا الوحي العظيم؟!! إن كنت صادقًا في محبة الله فاتبعه، وإن كنت صادقًا في محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاتبعه، أما أن تكتفي بمجرد دعاوى الحب فهذا لا ينفعك لا في الدنيا ولا في الآخرة إذا خالفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا بدأ بالآيات التي فيها وجوب طاعته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] الآية نص على أن طاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلقة؛ لأنه كرر فعل الأمر فيها، قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾، لما جاء في طاعة ولي الأمر ما قال وأطيعوا أولي الأمر؛ لأن طاعتهم مقيدة وليست مطلقة، فقال: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾، ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر، بل قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فطاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعة لله مباشرة، أما غيره من طاعة ولي الأمر أو طاعة الزوجة لزوجها، أو طاعة الابن لأبيه، أو طاعة العبد لسيده فهذه لا بُدَّ ألا تعارض طاعة الله، فإذا عارضت أمر الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يضرب بها عرض الحائط؛ لأنهم لم يطاعوا أصلًا هؤلاء إلا طاعة لله، أنت تطيع أباك لماذا؟ لأن الله أمرك بطاعته، فإذا أمرك بأمر فيه معصية لله لا يقال لك اعصي والدك وكن عاقًا، لا، لكن كون هذا الأمر من عند الله عَزَّ وَجَلَّ فوقنا أجمعين.

❁ **قال المؤلف:** «يقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]».

هذا تفصيل أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيأمرك بأوامر، فخذها وطبقها واعمل بها، وسينهاك عن أمور فاجتنبها، ولهذا في تعريف شهادة أن محمدًا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طاعته تصديق فيما أخبر، وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله بما شرع.

في هذا الحديث العظيم قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي رواه مسلم:

❁ **قال المؤلف:** «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤْمِنوا بي وبما جئت به».

الأمة قد أوجب الله تعالى عليها الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال: ٣٩] أي حتى لا يكون شرك، هذا هو أساس الجهاد في سبيل الله؛ أن ينتهي الشرك من الأرض، الشرك لمن ينتهي من الأرض لوجود من قد أشربت قلوبهم الشرك، فعند ذلك لا بُدَّ من جهادهم ليوصل معهم على أحد أمور ثلاثة:

- **الأمر الأول:** إما أن يسلموا فيكون لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.
- **الأمر الثاني:** وإما أن يأبوا فيلزموا بالجزية فيكون من الجزية وأهل العهد.
- **الأمر الثالث:** وإما أن يأبوا الأمرين، فمعنى ذلك أنهم أبوا حكم الله تعالى في الدخول في الإسلام، وأبوا حكم الله تعالى في الصغار ولزوم الجزية فتلزم الأمة جهادهم على حد الاستطاعة، على حد الاستطاعة التي أوجب الله عَزَّوَجَلَّ بحيث إذا تهيأت أسباب الجهاد لزمن الأمة، وإذا لم تتهيأ فإن الأمة قد أمرت بالإعداد، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ [التوبة: ٦٠].

فكما لا يحل أن تفرق الأمة في الجهاد في سبيل الله أو تستحي منه أو تخجل، لا، ولله الحمد، نجاهد في سبيل الله وهذا الدين هو الحق وما سواه باطل، ويجب أن يجاهد الباطل، وليس هذا موضع حياء، الذي يستحيي من هذا يستحيي من الصلاة حتى والصوم والزكاة، هذا دين الله عَزَّوَجَلَّ، والأرض أرض الله، والعباد عباد الله عَزَّوَجَلَّ، والحكم يجب أن يجري في أرض الله عَزَّوَجَلَّ على ما أمر، وليست هذه أهواء فلان ولا فلان حكم الله عَزَّوَجَلَّ، لكن كما أن تعطيل الجهاد غلط فإن الإساءة إلى الجهاد غلط، ووضع الجهاد بالطريقة التي تشوهه مثل تصوير مذهب السلف الصالح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بطريقة تصوره بشكل خاطئ، كل هذا من الصد عن سبيل الله ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤]، فيجب أن يلاحظ هذا وأن يعلم أن الجهاد له أحكامه العظيمة الشرعية والدقيقة المبينة التي لو حلف الإنسان بين الركن والمقام أن كثيرًا من الخائضين فيه لا يعلمون أحكامها لما حنث، كثرة من يذهب لا يدري بأحكام الجهاد، ولهذا حصل زلات كبيرة أساءت إلى الإسلام غاية الإساءة، جهاد أحكام شرعية، والأحكام الشرعية تحتاج إلى علم، كالحج أحكام شرعية، والأحكام الشرعية تحتاج إلى فقه، وكما أنه لا يعطل الجهاد ولا يقال مقولة

الليبراليين والمفسدين في أرض الله من الخونة ونحوهم أن الإسلام ما جاء بالجهاد، ما جاء بالجهاد!! وكل هذه الآيات بل سور كاملة في القرآن معظمها في الجهاد وتقول ما جاء بالجهاد؟! لا والله جاء بالجهاد لكن الإساءة إلى الجهاد وتصويره بطريقة على خلاف ما كان عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا شك أن هذا لا يرضي الله تعالى، هما طرفان، طرف يسيء إليه، وطرف ينفيه، والحق بينهما ولا يكون ذلك بعد فضل الله إلا بالعلم.

قال المؤلف: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جِئت به**».

فدل على عظم وجوب طاعته، من قوله: «**أمرت أن أقاتل الناس**»، ولا يكف عن ذلك حتى يؤمنوا بما جاء به صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ثم ذكر محبة الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأن هذه الثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان:

- **الأولى**: «**أن يكون الله ورسوله أحب إِليه مما سواهما**»، فيدخل في قوله سواهما كل أحد؛ الوالدان والولد والزوج والعشيرة والأرض والوطن والمال والتجارة والنفس، بأن يحب الله تعالى محبتهم، والأصل هو محبة الله، ولأجل محبة الله يحب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فالأصل هو محبة الله تعالى، ويحب الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

- **الثانية**: «**وأن يحب المرء لا يحِبه إلا لله**»، لا لغناه ولا لأمر يرجوه منه، وإنما يحبه من أجل الله تعالى لكونه على السنة، وعلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

- **الثالثة**: «**وأن يكره أن يعود في الكفر**» قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الحجرات: ٧] الكفر قذر قبيح، لو سمع الإنسان كل كلمة تغضبه لكان الكفر أقبح منها كلها، سمعت كلام النصارى، كلام اليهود أو الملاحدة أو الروافض، هذا من أقبح ما تسمع؛ لأن الله كره لك الكفر، وأن يكره أن يعود، أما أن يعود هو فقذفه في النار أسهل عليه، من أن يعود -عياذًا بالله- إلى الكفر، «**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النَّار**».

وجاء الحديث بعده:

۞ **قال المؤلف: «لا يؤمِن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».**

وجاء حديث عمر رضي الله عنه: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**»، فدل على أن محبته صلى الله عليه وسلم يجب أن تسبق هذا كله، وهذا كله يستطيع كل أحد أن يدعيه، كل أحد يستطيع أن يدعي أنه لا أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن محبته قد ملكت قلبه وربما هملت عيناه من الدموع وإنما يتبين الأمر بالاتباع له عليه الصلاة والسلام، وتطبيق سنته صلى الله عليه وسلم ونشرها والحث عليها، أما مجرد الدعاوى هذه فلا تنتهي.

ثم أخبر عليه الصلاة والسلام عن صنف خبيث سيأتي في الأمة، وهو مما ابتليت به الأمة قديمًا وحديثًا من أضراب المعتزلة القدامى ومن خلفتهم الذين خلفوا في هذه السنين ممن يضربون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ويرمون بها عرض الحائط فيقول أحدهم: «**يوشِك الرجل متكئًا على أريكتِهِ**» هذا الوصف ماذا يفيد؟ أن الشخص مترف، في بعض الروايات: «**متكئًا على أريكته شبعان**»، هذه كلها علامات على أن هذا الرجل فيه ترف، «**يحدث بحديثٍ من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله** عز وجل**، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه!!**» يقول أي: يريد أن يعمل بالقرآن، أما الذي يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم، كما هو حال هؤلاء المجرمين المفسدين كثير من الكتاب وكثير من الذين صدروا في الإعلام وغيره ليظهروا وكأنهم من أهل العلم وهم من أبعد الناس عن العلم، وعن منهج أهل السنة، فهؤلاء يزعمون أنهم سيقتصرون على القرآن وسيكفيهم، قال صلى الله عليه وسلم: «**ألا وإن ما حرم رسول الله** صلى الله عليه وسلم **مثل ما حرم الله**» نعم؛ لأنه لا ينطق عن هوى صلوات الله وسلامه عليه، ولا يتحدث من تلقاء نفسه، حاشاه صلى الله عليه وسلم، ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴿٤﴾﴾ [النجم] فهذا جانب مما يتعلق بحقوقه.

أتبعه رحمه الله بباب مناسب، وهو تحريضه النبي صلى الله عليه وسلم على أمرين: لزوم السنة، فإذا لزم الناس السنة اجتمعوا عليها، وضد ذلك البدعة بأن يتركوا البدعة والتفرق والاختلاف، وذكر قول الله تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب] فالذي يريد أن يتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في أي شيء؟ في كل شيء فالنبي صلى الله عليه وسلم جعله الله تعالى أسوة للأمة بكل شيء، في لباسك، في هيئتك الخارجية، في عبادتك، احرص على أن تكون حتى قال سفيان رحمه الله: (إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل)، ولو قدرت إنك تقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم

حتى في طريقة حكك لرأسك افعل، التزم طاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يجعل هذا من دأبه وديدنه مثلًا في نومه ويقظته وذهابه وإيابه وأكله وشربه والتزامه للأذكار وللصلوات أن يصلي كما صلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحج كما حج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا في بيعه وشراءه، يجد أثر ذلك عظيمًا على نفسه ويرتفع به قدره عند ربه تبارك وتعالى، أسوته الكريمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم ذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وهذه تبرئة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الفرق الضالة كلها، فرقوا دينهم، جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدين واضح، وأين نجد دين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ في كتاب الله وكلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الفرق الضالة أبعد الناس علمًا بالحديث، فأنى لهم أن يكونوا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ مجموعة من الفرق ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ لأن الله تعالى بعثه وجمع به الأمة، فالذين فرقوا الأمة هؤلاء برأ الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم.

ثم ذكر قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] النهي عن الفرقة في الدين، وما دام الله تعالى قد أنزل كتابًا وبعث رسولًا فيلتزم ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويلزم ما في الكتاب فلا تفترق الأمة، إنما تفترق الأمة إذا تركت هذا الذي يجمعها.

ثم إنه ذكر حديث العِرباض رضي الله عنه -وهو حديث مشهور- أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظهم، وهذا لما قلنا قبل قليل في أمر العلم وسمته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظهم موعِظة بليغة، ذرفتْ منها عيونهم، أي: تأثرًا، ووجِلت منها القلوب، وهذا المقصود بالوعظ، وهذا المقصود بالخطب، وهذا المقصود بالعلم أن ترق القلوب، وأن يقترب العبد من ربه، وأن يحاسب نفسه، لا أن تكون المجالس مجالس هزل وضحك، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعِظة مودع، هذا الوعظ العظيم الذي أبكانا، ورقت له قلوبنا كأنك تودعنا فما تعهده أي: ما الذي توصينا به؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله**»، هذه وصية الله للأولين والآخرين، «**والسمع والطاعة**»، أي: لولاة أموركم، هذا المعنى ولهذا قال: «**وإن كان عبدا حبشيا**»، لا تحتقره فتقول: هذا عبد حبشي أُمّر علينا والله لا أسمع له ولا أطيع، بل تسمع له وتطيع وإن كان عبدًا حبشيًا، وكان من عادة العرب عادة قبيحة من عاداتهم احتقار من يكون أسود اللون أو نحوه فنهاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، إذا أمر عليك حتى لو كان عبدًا حبشيًا فإنك تسمع وتطيع ما دام لم يأمرك بمعصية الله عَزَّ وَجَلَّ.

ثم أخبر بأمر هو من دلائل نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا**» الذي لا يرى الاختلاف الذي مات في تلك العصور العظيمة فلم يرى الاختلاف، أما الذي سيعيش لا بُدَّ أن يرى هذا الاختلاف، يرى التغير والتحول والأحوال والله المستعان أن تتبدل إلى حد أن يعود الدين غريبًا كما بدأ، ما الحل؟ قال: «**فعليكم بسنتي**» أي: الزموها، «**وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»، وفي هذا تزكية للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم فسماهم بالراشدين، وجعل سنتهم مع سنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تلتزم، وهذا يا أخي يؤكد على تعلم العلم، لن تعرف السنة، ولن تعرف سنة الراشدين إلا إذا تعلمت، ولهذا العلم مفتاح خير كثير جدًا لك في دينك ودنياك، ماذا يفعل بهذه السنة؟ قال: «**تمسكوا بها**» وهذا واضح، ومن شدة التمسك: «**عضوا عليها بالنواجِذِ**» وهي الأضراس، متى تعضد على الشيء بالضرس؟ إذا خفت أن يذهب من شدة حرصك عليه، «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، الأمور التي تحدث وتتجدد لا تفرحوا بها، ولا تظنوا أن هذه نوعًا من التطور وسعة الأفق -كما يعبرون-، لا والله هذه بلايا، ثم عرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البدعة بأحسن تعريف: «**فإن كل محدثة بِدعةٌ**» ما البدعة؟ المحدثة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لم تكن على هديه وهدي خلفائه الراشدين رضي الله عنهم، «**وكل بدعةٍ ضلالة**» ما دامت بدعة فالبدعة ضلالة، وفي هذا دلالة على أنه لا يوجد شيء اسمه بدعة حسنة؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبر بهذا التعبير العام كل بدعة فما أبعد البدع عن الحسن.

ثم روى الرواية الأخرى: «**لقد تركتكم على البيضاء**» بيضاء طريق واضح، «**ليلها كنهارها**» من شدة بياضها ووضوحها «**لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، نسأل الله العافية، «**ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا...**».

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[1].



(١) نهاية المجلس الرابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

نتم بقية شرح الأحاديث -إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ-.

حديث جابر عند مسلم رحمه عن جابر ﷺ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان في خطبته، وهذه طريقته في الخطبة أنه كان يقول بعد أن يحمد الله؛ إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، يقول بعدها: «**أما بعد**» عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فصلًا بين ما قبلها وما بعدها، معنى أما بعد مهما يكن من شيء بعد: «**فإن خير الحديث كتاب الله**»، لن تجد خيرًا من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يحرّص طالب العلم على أن يحرص على أحسن القصص كما سماه الله، وعلى خير الحديث، يحرص عليه، «**وخير الهدي هدي محمد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ»، لا هدي ولا طريق يمكن أن يكون خيرًا من هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بل كل هدي سوى هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فهو باطل، فلا هدي أصلًا فيه السلامة إلا هديه عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، «**وشر الأمور محدثاتها**»، وهي البدعة المبتدعة «**وكل بدعةٍ ضلالة**» -كما تقدم-.

في حديث البخاري ﷺ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**كل أمتي يدخلون الجَنَّة إلا من أبى**»، أي: إلا من رفض الدخول في الجنة فسألوه: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجَنَّة: من عصاني فقد أبى**»، لأن طريق الجنة لا يمكن أن يكون إلا بطاعة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فمن أطاع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ دخل الجنة بعد رحمة الله، ومن عصى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عاقبة العصيان ما هي؟ عاقبة العصيان أنه سيدخل النار، ولن يدخل الجنة إلا أن يعفو الله عنه إن كان من عصاة الموحدين، الواقع أنه قد أَبَى، وإن قال أنه لا يأبى أن يدخل الجنة، ولكن نقول إذا عصيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فأنت قد أبيت الدخول لأنك لن تدخل الجنة إلا بطاعة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد رحمة الله عَزَّوَجَلَّ.

❍ **ثلاثة من الصحابة** ﷺ **خيار، صلحاء،** أرادوا التوسع في العبادة، يكونوا على حال قوي واشتهوا العبادة والتذوها، فجاؤوا وسألوا أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن عبادة فأخبر زوجات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هؤلاء الرهط الثلاثة بعبادته وهي عبادة عظيمة جدًا، قلنا إنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يصلي عند منتصف الليل،

ومنتصف الليل إذا كان الليل اثنتي عشرة ساعة معناه أنه كان يقوم صلوات الله وسلامه عليه من الليل ستة ساعات، منتصف الليل قلنا إن في معظم أيام السنة يكون في بلدنا هذا عند الحادية عشرة أو قبلها أو بعدها، فانتصاف الليل عند الثانية عشرة في هذا البلد، عبارة منتصف الليل الساعة الثانية عشرة هذه خطأ في بلدنا؛ لأن المنتصف يكون قبلها، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم على هذا الحال، أي: إذا كانت الشمس تغرب الخامسة والفجر يؤذن الخامسة، أضف ست ساعات إلى الخامسة تكون الساعة الحادية عشرة، ثم بحسب ما يزيد المغرب ويزيد الفجر، ينقص هذا وينقص هذا، يكون انتصاف الليل بعض الأحيان يكون عند الحادية عشر إلا ربعًا، وبعض الأحيان عند الحادية عشرة وخمسة بحسب طول الليل وقصره، هذه لا شك أنها مدة طويلة جدًا، وصلى صلوات الله وسلامه عليه مرة فاستفتح فقرأ بالبقرة، ثم النساء ثم آل عمران وهو واقف لم يركع بعد، وكانت صلاته طويلة بلا شك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهكذا صومه خير الصوم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وصلاته خير الصلاة، وقراءته خير القراءة، وذكره لله عَزَّوَجَلَّ خير الذكر، والصحابة الكرام هؤلاء كأنهم تقالوها أرادوا أن يزيدوا، وقالوا: أين نحن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا كان يصلي هذه عبادته فهو قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أما نحن فلم تغفر لنا الذنوب، إذًا سنزيد هذا المراد، فالتزم أحدهم يصلي الليل كله، والتزم الآخر أن يصوم النهار سردًا ولا يفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء أي: زهدًا فلا أتزوج أبدًا، فجاءهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا**» أي: هذه الأمور الثلاثة، «**أما والله**»، حلف وهو الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**»؛ من جهة الهدي والطريقة هو أعظم من يخشى الله، وهو أعلم الخلق بالله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو أشدهم تقوى، فما هذا النوع من الزيادة منكم إلا خروجًا عن هديه، ثم قال بيانًا لكونهم على خلاف هذا: «**لكني أصوم وأفطر**»، على خلاف الذي يقول أنه سيسرد الصوم، «**وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء**»، ثم قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» ولو بتعبد ولو بزيادة في الحماسة للعبادة أو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، حتى لو سلك بهذه السبل سبيلًا يريد به الخير فإنه يكون راغبًا عن السنة، فعليه ألا يزهد في السنة بأن لا يسيء بها الظن وأن يعلم أنها هي الهدي السليم الصحيح، سنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ النقص منها جفاء والزيادة عليها غلو.

ثم ذكر الحديث العظيم الذي فيه حقيقة الإسلام أنه:

۞ **قال المؤلف: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباءِ».**

بداية الإسلام غريبًا لما بعث الله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستجب له إلا نفر قليل، استجابت خديجة وأبو بكر وزيد وعلي رضي الله عنهم، ثم بدؤوا يزدادون فأسلم على يد أبي بكر لبركته رضي الله عنه عبد الرَّحمن بن عوف في موازين أبي بكر، وعثمان بن عفان في موازين أبي بكر لأنه دعاهم للإسلام رضي الله عنهم فأسلموا رضي الله عنهم جميعًا على يديهم.

من دلائل فضل أبي بكر رضي الله عنه يسلم على يديه هؤلاء الذين بلغوا المبالغ العظيمة، ثم بدأ الإسلام يقوى حتى نصره الله تعالى النصر المبين، أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن سنة الله تعالى أن يعود الإسلام غريبًا كما بدأ غريبًا،

ولهذا يضعف المتمسك بالسنة المحضة والذي لديه التوحيد الخالص لأنه تكثر البدع؛ الآن في إحصائية من ينتسبون إلى هذا الدين يزيدون على المليار؛ لكن المستمسك منهم بالسنة والذي هو على هدى وعلى توحيد لا شك أنهم أقل الموجودين، فيكون هؤلاء غريبين في وسط هذه الجموع الكبيرة، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء، هذه تهنئة لهؤلاء الذين صاروا غرباء؛ لأنهم أناس قليل صالحون في أناس كثير فاسدون، ومع ذلك فهؤلاء الغرباء كما هو معلوم ليسوا نائمين يتفرجون على أمتهم؛ يصلحون ما أفسد الناس، يحرصون على الإصلاح، وهم على أشد ما يكون من الحرص على الناس وعلى الأمة، وحرصهم على الإصلاح يكون من خلال العلم وإصلاح أدواء الأمة بالطريق الشرعي، وليس بالطرق المخترعة أو المبتدعة التي لا أساس لها، أو بتسوية أحوال الناس جاهلهم وعالمهم، ومعاندهم وصاحب البدعة منهم وصاحب السنة منهم، هذا ليس هو الهدي الصحيح، فهم يحرصون على أن ينفع الله بهم، ولهذا إذا مات الواحد منهم انفتحت ثلمة شديدة في الأمة لأنه كان يصلح كثيرًا، فيحرص على أن يكون الإنسان على هذا النهج وهذا الحد ويبشر بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طوبى للغرباء**».

الأهواء التي تكون عند الناس والميول التي يميلون إليها يجب أن يخضعوها للسنة.

۞ **قال المؤلف: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به».**

فعند الناس أهواء وميول ورغبات كثيرة جدًا؛ فتخضع هذه الأهواء لما جاء به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتترك الأهواء، وتترك الأعراف، وتترك القناعات التي هي على خلاف هدي النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها حين صارت على خلاف هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا جزمًا أنها خطأ؛ لأن هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، خير الهدي هدي رسول الله، فإذا وجدت قناعات وأعراف أو حتى أنظمة على خلاف هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يضرب بها عرض الحائط يجب تغييرها ويجب الكف عنها، وأن يعاد إلى هديه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

في حديث عبد الله بن عمرو الثاني رضي الله عنهما إخباره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن هذه الأمة سيأتي عليها كما أتى على بني إسرائيل تمامًا، فسيتأسى الأشقياء بهذه الأمة ببني إسرائيل في كل شيء إلى حد أنهم عياذًا بالله لو وجد في بني إسرائيل من أتى أمه -أي: فاحشة- علانية فسيكون في هذه الأمة -نعوذ بالله- من يصنع ذلك كما صنع بنو إسرائيل، وهذا من دلائل خبث التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى، وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن في هذه الأمة من سيتأسى باليهود والنصارى حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، جحر الضب ضيق جدًا، لكن لشدة التشبه بهؤلاء الأعداء جثي جهنم يتشبثون به حتى في الأشياء القذرة والوقحة التي يأنف منها العاقل بفطرته، فيأسون بهم، وهذا كثير في شباب وفي نساء وفي رجال والله المستعان، فهذا داء من الأدواء.

❁ **قال المؤلف: «وإن بني إسرائيل افترقت على ثِنتين وسبعين مِلة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النَّار إلا ملة واحدة».**

لما أخبر أنه هذه الأمة سيقع فيها ما وقع لبني إسرائيل وكان بني إسرائيل قد افترقوا هذا الافتراق فسيقع الافتراق في الأمة كما وقع في بني إسرائيل، هذه الفرق كلها هالكة لسبب واحد، أنها خرجت عن الطريق الذي خطَّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستهلوا أن يكونوا في النار، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم في الحديث يقول: «**قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها**» لماذا تزيغون عن هذه البيضاء إلى السواد والقتمة والظلمة من أهواء الروافض والخوارج والجهمية والمعتزلة ومخرفوا الصوفية وأضرابهم، عندك خير الهدي هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فترغب عنه إلى هؤلاء فيكون هؤلاء -عياذًا بالله- من الداخلين في هذا الوعيد، «**كلهم في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» ففيه دلالة على أن هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن في النجاة لا إشكال، لكن فيه دلالة على فضل الصحابة، أن الهدي يأخذ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبفهم أصحابه أنه ربط النجاة بهديه وبهدي

أصحابه معًا، فقال: «**من كان على مثل ما أنا عليه**» وحدي، قال: «**وأصحابي**» دل على أن أصحابه على هديه سائرون عليهم رضوان الله.

في الحديث بعده والذي بعده أيضا بيان أمر من دعا إلى خير:

قال المؤلف: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجورِ من تبعه».

وهذا فيه فضل كبير للغاية، لأنك قد تنشر خيرًا فيتسلسل هذا الخير قرونًا بعدك، فيستمر هذا الخير يأتيك في قبرك وأفعال لم تفعلها وقد انقطع عملك هذا يستمر عليك وأنت في قبرك؛ لأنك دعوت إلى هدى، فلك من الأجر مثل أجور من تبعه إلى قيام الساعة، لا ينقص من أجورهم شيء من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، لهم أجورهم كاملة، ولك أجر هؤلاء جميعًا.

وهذا يا أخوة يحرص طالب العلم على أن يضبط مسائل العلم، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعله داعية إلى هدى وبصيرة فينفع الله تبارك وتعالى به، فإذا توفي فإن علمه بفضل الله تعالى عليه لا ينقطع لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**» وذكر منها: «**العلم النافع**» الذي ينتفع به من بعده، وهذا لا يكون إلا في العلم النافع.

- **أما العلم الضار فهو على العكس مما يبتلى به ويتضرر به في قبره،** وهكذا من دعا إلى ضلالة من هذه البدع والآراء المضلة فإن عليه -عياذًا بالله- من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا ما دامت تعمل، نسأل الله العافية والسلامة يدل على خطورة البدع والضلالات والمحدثات، وأن نشرها من أشد ما يكون خطورة على الفاعل نفسه وعلى الداعي إليها.

جاء في حديث أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول إن أبدِع بي، أُبدِع بي أي انقطعت بي دابتي، فاحْمِلْني هذا المعنى، صار في دابته شيء من الكلال فانقطعت، فاحملني يريد أن يحمله على دابة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ما عندي**»، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدة: «**من دل على خيرٍ فله مِثل أجرِ فاعِلِه**» هذا الرجل ما عنده دابة لكن دله على من يحمله، فصار لصاحب الدابة الأجر، وصار لهذا الذي دل هذا على صاحب الدابة أيضًا الأجر، وهذا يدل على أن التبرعات التي تذهب إلى أهلها في طريق سليم أن أجرها يكتب لمن تسبب فيها وإن لم يدفع فيها درهمًا واحدًا، وهذا فيه دلالة على فضل أن تصرف هذه المصارف وأن تتسبب فيها فتصرف في وجوهها، فقد

يكون الإنسان فقيرًا أو لا يكون فقيرًا لكن لا يملك أن يتبرع بهذه القناطير المقنطرة فإذا تسبب فيها ووصلت إلى أهلها المستحقين ومواضعها السليمة فإنه يكتب له الأجر بذلك.

❍ **اللفظ الآخر بلفظ:** «**من أحيا سنة من سنتي قد أميتت**»، لا شك أن المقصود بأن يدعو إلى هدى أو من سن سنة حسنة المقصود أن يأتي بشيء من الشرع فيحييه في الناس، وليس المقصود أن يخترع؛ لأن الاختراع يسمى بدعة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل بدعة ضلالة**» وإنما المقصود أن يأتي إلى شيء من الخير والهدى فيحييه وينشره في الناس، أما إذا ابتدع واخترع فهذا ليس من السنة، وليس من الهدى، ولا يمكن أن يقال إنه سنة حسنة؛ لأن صاحبه يقول: أنا ابتدعته، إقراره أنه ابتدعه ليس له أن يستدل عليه بحديث من سن سنة حسنة، وأيضًا حديث من سن سنة حسنة له سبب يبينه، وهو أن قومًا جاؤوا شديد الفقر وحث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصدقة فجاء أحد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصدقة فبدأ، ثم توارد الناس وتصدقوا بصدقات حتى صار هناك صدقات كبيرة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي: للأول: «**من سن سنة حسنة**»، الصدقة سنة حسنة لأنها من الشرع، ولم يخترع هذا الذي تصدق بدعة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من سن سنة حسنة، وقلنا إن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه روى عن الطيالسي بسند صحيح أنه قال: الوتر سنة حسنة، الوتر بإجماع المسلمين معلوم أنه مشروع، قال: سنة حسنة، فدل على أن إطلاق كلمة السنة الحسنة هو على المشروع لا على المبتدع.

وهكذا عبارة ابن مسعود التي فيها حقيقة الحال وما تؤول إليه الأمور والله المستعان حيث قال: (**كيف أنتم**) أي: لاحقًا إذا تغيرت أحوالكم (**إذا لبستكم فتنة هذه الفتنة يشب فيها الصغير**) ينشأ عليها منذ صغره حتى يكون شابًا وهذه البدعة أمامه، (**ويهرم فيها الكبير**) الكبير تقدم به السن وهو يرى هذه البدعة وهذه الفتنة كأنها جزء من الدين، قال: (**وتتخذ سنة يجري الناس عليها، فإذا غُير منها شيء**) وهي بدعة وضلالة وفتنة (**قيل: تركت سنة**)، لأن الناس نشأوا يظنوها من الحق ومن الدين، (**قيل: ومتى ذلك يا أبا عبد الرَّحمٰن؟**) انظر ماذا قال، قال: (**إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم**)، الله المستعان.

القراء أيها الإخوة الذين ليس عندهم إلا مجرد القراءة دون فقه لها لا يسمون طلبة علم؛ لأن المقصود بالقراء الذين هم على السمت الصحيح أن يقرؤوا ويفهموا، أما أن يقرؤوا ولا يفهموا ولا يكونوا من المتفقهين فقد يكونون أعاجم يقرأ بجانبك رجل القرآن على أحسن ما يكون فتكلمه فيقول

أنا لا أجيد العربية؛ لأنه يستطيع أن يقرأ قراءة، وهذا مما فتن به الناس عدم التفريق بين طالب العلم والقارئ، ولا سيما إذا كان قارئًا ذا صوت حسن، فيفتن به الناس ويغتر بنفسه فيبدأ يتحدث في مسائل الدين، ويخوض في مسائل الاعتقاد، وفي مسائل الأحكام والفتوى وهو مجرد قارئ لا فقيه، متى تكون الفتنة التي تحدث عنها ابن مسعود؟ يقول: (**إذا كثر قراؤكم**) الذين ليس عندهم فقه يكثر القراء ويقل الفقهاء، عند ذلك تأتي هذه الفتنة، (**وكثرت أموالكم**)، أي: أموال لا تنفع أهلها، وإلا المال إذا كثر كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**نعم المال الصالح للعبد الصالح**»، وقل أمناؤكم تقل الأمانة -نسأل الله العافية- في الناس، (**والتمست الدنيا بعمل الآخرة**)، مثل أن يتعلم العلم الشرعي ليوصل الدنيا ومناصبها، أو أن يحج الإنسان ليكسب المال، أو أن يتولى شيئًا من مسائل الدين والأعمال الدينية حتى يحصل به مالًا، لا يقصد إلا هذا هنا تلتمس الدنيا بعمل الآخرة؛ لأن هذه الأمور الأصل أنها دينية، (**وتفقه لأجل الدين**)، يتفقه ويتعلم وربما درس يتخرج في الجامعات الشرعية وغيرها لا يريد الدين ولكن يريد المنصب، لا يفكر إلا في البيت وفي السيارة وفي الزواج هذا الذي في ذهنه، وهذا الحقيقة خطير جدًا أن يكون هذا الذي في الذهن، يتفقه لغير الدين لا يريد أن يصلح الله به قلبه ويتزود من العلم وأن ينفع الله به، وأن يدعوا على بصيرة، همه أن يحصل من خلال هذه الشهادة على هذا الأمر وهذا خطير للغاية، لتجعل قصدك وجه الله وتعلم العلم التماس رضا الله بتعلم العلم، فإذا يسر الله تعالى لك رزقًا، وتهيأت لك سبله فهذا يأتي تبعًا ولا يكون أصالة.

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا تعبدوها، العبادات التي لم يتعبدها أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا شك أنها بدعة لأنها لو كانت خيرًا لنقلها إلينا الصحابة عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكانت في جيل الصحابة، «فإن الأول» أي: من سلفكم السابق لم يدع للآخر مقالًا، ما جعل لكم مقالًا أي: في المسائل هذه التعبدية، أما مسائل الاجتهاد بعض الناس يسيء فهم هذا الأثر فيقول: كم ترك الأول للآخر ويخطئ العبارة هذه ما ترك الأول للآخر شيئًا، حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتحدث عن المسائل التي ليست محل اجتهاد، فيأتي مثلًا بعض الناس ويجد فائدة لم يتفطن لها مثلًا أحد من قبله فيقول: كم ترك الأول للآخر، ليس هذا مقصد حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الأول أي: من سلفكم لم يدع للآخر ممن يأتي بعده مقالًا إذ قد سبقوكم إلى كل خير، فلو كان هذا خيرًا لسبقكم إليه الصحابة فتعبدوا به، هذا المعنى وليس المعنى أن الاستنباط الفقهي المنضبط قد انتهى، المسائل الاجتهاد

مستديمة، فيساء فهم هذا الأثر ويحدث بعض الناس بنوع من الاغترار بنفسه فيكون أنا حصلت هذه وهذا يدل على خطأ ما يقال كم ترك الأول للآخر، لا والله القول فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، لا والله أنت لم تفهم هذا المقال؛ لأنه يتحدث هنا عن العبادة، كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا تعبدوها؛ فإن الأول من سلفكم لم يدع للآخرِ مقالا، أي: سبقوكم إلى كل خير، في التعبد في الصوم، في الصلاة، في كل مسائل الخير فكونوا على أثرهم هذا المعنى، فينبغي أن يفهم مراده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم، وهذا يدل على ما قلناه أنه أمرهم أن يأخذوا سبيل السلف الذين من قبلكم.

❁ **قال المؤلف: «عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كان مستنا»».**

أي: سيستن ويتأسى فليستن بمن قد مات؛ أي: بممن مات وعرف حسن وفاته على السنة من سلف الأم، أما الحي فاحذر لا تغتر بالحي كثيرًا، لأن الحي نسأل الله العافية والثبات قد يفتن.

❁ **قال المؤلف: ««فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة».**

وهذا يدل على أهمية أن أهمية أن يترك المبالغات في مدح الأحياء؛ لأن مدح الأحياء قد يجرهم إلى شيء من الفتنة فيقع فيها، ثم قال: أولئك -الذين ينبغي أن يهتدي بهم أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانوا أفضل هذه الأمة؛ وهذا بنص القرآن من فضلهم أنهم أبر الأمة قلوبًا، وأنهم من جهة العلم هم أعمق الأمة علمًا وأدق وأتقن وأنبه الأمة في العلم أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من جهة التكلف هم أقل الأمة تكلفًا، ولهذا قد يأتي أناس ينفخون الكتب ويظن أنهم أهل علم كثير، فيقال: ليس هذا من العلم الكثير، هذا كله من التكلف، ولو قل تكلفهم ما نفخوا هذه الكتب بهذه المقالات التي يتنقل بها بين عمرو بن عبيد وبين واصل بن عطاء وأضرابهم من أهل الضلال، هذه تكلفات ما أنزل الله بها من سلطان، قال: اختارهم الله لصحبةِ نبيه، لا شك أن الله اختارهم اختيارًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبِعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم.

في حديث عمرو بن شعيبٍ عن أبيهِ عن جدهِ قال: سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوما يتدارؤون في القرآنِ -جاء في بعض الروايات أنهم كانوا يتنازعون في القدر فقال ما ذكرناه في القدر-: «**إنما هلك من كان قبلكم بهذا**»؛ أي: بهذه المنازعات «**ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضًا فلا**

تكذبوا بعضه بِبعضٍ»، وفي لفظ: «إن القرآن نزل يصدق بعضه بعضه، ولـم ينـزل يكـذب بعضـه بعضًـا، فمـا علمتم منه فقولوا، وما جهِلتم فكِلوه إلى عالمه».

❁ **قال المؤلف:** «باب التحريض على طلب العلم وكيفية الطلب فيه

حديث الصحيحين في فتنة القبر «أن المنعم يقول جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وأجبنا واتبعنا، وأن المعذب يقول: سمعت الناس يقولون شيئا فقلته»!

وفيهما عن معاوية ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

وفيهما عن أبي موسى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا؛ فكانت منها طائفة طيبة قبلتِ الماء فأنبتتِ الكلأ والعشْب الكثير، وكانت منها أجادِب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقِه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفعْ بذلك رأْسًا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت بهِ».

ولهما عن عائشة ﵂ مرفوعا: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حوارِيون وأصحاب يأخذون بسنتِهِ، ويقتدون بأمْرِه، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤْمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانهِ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردلٍ» رواه مسلم.

وعن جابرٍ ﵁ أن عمر ﵁ قال: يا رسول الله إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟! فقال ﷺ: «أمتهوكون أنتم كما تهوكتِ اليهود والنصارى! لقد جِئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي» رواه أحمد.

وعن أبي ثعلبة الخشني ﵁ مرفوعا: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيانٍ فلا تبحثوا عنها» حديث حسن رواه

الدارقطني وغيره.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**».

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نضر الله عبدا سمِع مقالتي فحفِظها ووعاها، وأداها، فرُب حاملِ فقهٍ غير فقيهٍ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلمٍ: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتِهم، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم**». رواه الشافِعي والبيهقي في «المدخل» ورواه أحمد وابن ماجة والدارِمي عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**العلم ثلاثٌ: آيةٌ محكمةٌ، أو سنةٌ قائمةٌ، أو فريضةٌ عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل**» رواه الدارِمي وأبو داود.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال في القرآن برأْيِهِ فليتبوأ مقعده من النّار**» رواه الترمذي.

وفي رواية: «**من قال في القرآن بغير عليم فليتبوأ مقعده من النّار**» رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أفتى بغيرِ علمٍ كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيهِ بأمرٍ يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه**» رواه أبو داود.

وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطاتِ. رواه أبو داود أيضًا.

وعن كثير بن قيسٍ قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إنِي جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديثٍ بلغني عنك أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما جئتك لحاجةٍ، قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علما سلك الله به طريقًا إلى الجَنَّةِ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السَّمٰوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإِن فضل العالمِ على العابِدِ كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياءِ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ**» رواه أحمد والدارِمي وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: «**الكلِمة الحكِمة ضالة المؤمنِ؛ فحيث وجدها فهو أحق بها**» رواه الترمذي، وقال: غريب، وابن ماجه.

وعن علي ﷺ قال: إن الفقيه حق الفقيه من لم يقنطِ الناس من رحمة الله، ولم يرخصْ لهم في معاصي الله، ولم يؤمنْهم من عذابِ الله، ولم يدعِ القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادةٍ لا علم فيها، ولا علمٍ لا فهم فيه، ولا قراءةٍ لا تدبر فيها.

وعن الحسنِ ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجَنَّةِ**» رواهما الدارِمي.

باب قبض العلم

عن أبي الدرداء ﷺ قال: كنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشخص ببصره إلى السماءِ، ثم قال: «**هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقْدِروا منه على شيءٍ**» رواه الترمذِي.

وعن زياد بن لبيد ﷺ قال: ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا فقال: «**ذلك عند أوانِ ذهاب العِلمِ**»، قلت: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكِلتك أمك يا زياد! إن كنت لأراك من أفقهِ رجلٍ في المدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بِشيء مما فيهما؟**» رواه أحمد وابن ماجه.

وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهلِهِ، عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إِليه أو يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورِهم، عليكم بالعلمِ وإياكم والبِدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيقِ. رواه الدارِمي بنحوِهِ.

وفي الصحيحين عن ابنِ عمرٍو مرفرعًا: «**إن الله لا يقبِض العلم انتزاعًا ينتزِعه من العباد، ولكن يقْبِض العلم بموت العلماءِ، حتى إِذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالًا؛ فسئِلوا؛ فأفتوا بغير علمٍ فضلوا وأضلوا**».

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يوشِك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من**

الإسلامِ إلا اسمه، ولا يبقى من القرآنِ إلا رسمه، مساجِدهم عامِرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أدِيم السماءِ، من عندهِم تخرج الفتنة، وفيهِم تعود» رواه البيهقِي في «شُعبِ الإيمانِ»».

هذان البابان تحدث فيهما عما ينبغي أن يلاحظه طالب العلم: باب التحريض على طلب العلم لكن، وكيفية طلبه، كيف يطب طالب العلم هذا العلم؟ لأنه قد يطلب بأسلوب غير سليم، في هذا الحديث الأول أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الذي يفتن في قبره، والفتنة هي السؤال عن الله وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن الدين، المنعم، أي: المنعم المثبت الذي ينعم الله عليه عَزَّ وَجَلَّ بنعيم القبر إذا سئل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيب جواب من لديه علم؛ لأنه يقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو نبي الله، فيقال له: فما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، هذا في لفظ، في اللفظ الآخر: يقول هو رسول الله: «**جاءنا بالبينات والهدى**» لاحظ فضل العلم وأثره عليه، أن العلم نفعه الله به لأنه قرأ هذه البينات وقرأ هذا الهدى، قال: «**فآمنا وأجبنا واتبعنا**» فهذا يثبت نسأل الله من فضله، الآخر الذي لا يكترث العلم ولا يهتم به وإنما هو مرتاب منافق يقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، وهذا الذي يقول ما يقوله الناس أبعد الناس عن العلم، كلما سمع الناس يقولون قولًا حقًا كان أو باطلًا قاله.

في حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشارة كبيرة لطالب العلم:

۞ قال المؤلف: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».

فمن علامات إرادة الله بالعبد الخير أن يفقهه في الدين، ولكن على ما قلنا ما طريق التفقه في الدين؟ الكتاب والسنة؛ لأنه قد يسلك مسالك بعيدة عن الكتاب والسنة يظن أنه فيها على فقه في الدين وهو بعيد عن الفقه في الدين، ومعنى أن يفقهه في الدين الفقه معناه هو الفهم بأن يفهم دين الله، ورأس ذلك وأجله أن يفهم الاعتقاد وهكذا الأحكام الشرعية.

ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن المثل الذي يُضرب لما بعثه الله به من هذا الهدى والعلم مثله مثل الغيث مثل المطر، هذا الغيث الكثير إذا نزل إلى الأرض تكون الأرض معه على ثلاثة أحوال؛ إذا نزل الغيث منها هذه الأراضي أراضي طيبة تقبل الماء وتنبت الكلأ والعشب الكثير، هذه أفضل الأراضي، أراضي مباركة فيها خير ونفع للناس إذا نزل عليها المطر قبلت، لأنها مهيأة بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ للإنبات، نوع

آخر من الأراضي ليست بهذا الحد والمستوى لكن مزيتها أنها مجدبة تمسك الماء فيبقى الماء فيها فيستقي الناس منها، فينتفع الناس لا من العشب لكن ينتفعون من الماء؛ لأن الماء يراد أن يشرب يرده الناس وترده دوابهم، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى -عياذًا بالله- إنما هي قيعان لا هي بالتي تمسك الماء حتى يشرب الناس، ولا هي بالتي تنبت الكلأ؛ لا خير فيها، فمهما نزل عليها من المطر فإنها لا ماء تمسكه ولا نبت تظهره، قال: فذلك مثل من فقِه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم، هذا النوع الأول والثاني، ممن لديهم علم بالأدلة وفقه فيها هذا القسم الأول، النوع الثاني من لا يكن لديهم فقه بالأدلة لكنهم أمسكوا هذه الأدلة ونشروها للأمة ابتغاء نشر العلم وإن قصروا في فهمها ينفعون، نعم ينفعون، ينفعون لأنهم بثوا القرآن وبثوا السنة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتصل كما سيأتينا في الأحاديث لمن يكون أفقه منهم فحفظوها منهم، وبلغوها إلى من بعدهم.

أما الصنف الخبيث الثالث -عياذًا بالله- فهو الذي شبه بالقيعان، الذي لا ينتفع بهذا العلم بتاتًا وهو من لم يرفعْ بذلك رأْسًا لا يهتم أصلًا ولا يرفع -عياذًا بالله- بكلام الله وبكلام رسوله وبهذا العلم العظيم رأسًا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسل به نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تقدم حديث: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»، تقدم شرحه.

في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بسنة الله في أنبيائه، أن الله ما بعث نبيًا قبله إلا كان له في هذه الأمة أنصار وحواري وأصحاب، هؤلاء الأصحاب الكرام هم خيرة دائمًا الأنبياء، وهم الذين ذكرهم الله تعالى: ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هود: ٥٨]، وقال الله تعالى لنوح: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود] هم أصحاب الأنبياء، وكذلك أصحاب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨] فهم أصحابهم كانوا في معيتهم، هؤلاء الأصحاب الكرام يأخذون بسنة النبي ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوفٌ أخبر أن الحال سيتغير وتأتي خلوف سيئة من صفاتهم -عياذًا بالله-: أنهم يقولون ما لا يفعلون، قد يقولون قولًا طيبًا فلا يفعلونه، وعندهم تكلف؛ يفعلون ما لا يؤْمرون، قال: فمن جاهد هذا الصنف من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانِهِ فهو مؤمن، من جاهدهم بيده يزيل باطلهم ويحسمه، الذي يجاهدهم بلسانه يبين ما هم في من الشر ويحذر الأمة،

من لم يحصل له هذا فليجاهدهم ولو بقلبه من جاهدهم بقلبه؛ لأنه قد يعجز أن يجاهدهم بلسانه ويديه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك أي: الجهاد بالقلب، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردلٍ.

ثم حديث عمر رضي الله عنه لما ذكر أحاديث تعجبنه وبعض المواعظ ونحوها مما يقوله اليهود أفترى أن نكتب بعضها؟! ، فقال: «**أمتهوكون**» أي: عندكم شيء من التهوك والحيرة والاضطراب والتشكك، عندكم شيء من التتشكك «**أمتهوكون أنتم كما تهوكتِ**» أي: كما تشككت «**اليهود والنصارى! لقد جِئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا**» هذا الذي ينسب إليه اليهود أنه يقول كذا ويقول كذا، لو كان حيًا وما وسعه إلا أن يكون مجرد تابع لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم ذكر الحديث العظيم حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه في بيان أحكام الله:

۞ **قال المؤلف: «إن الله فرض فرائض».**

أي: واجبات محتمة.

۞ **قال المؤلف: «فلا تضيعوها، وحد حدودا».**

معينة فلا تتجاوزوها.

۞ **قال المؤلف: «تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء».**

لا هو بالذي أوجبها، ولا هو بالذي حرمها، لم سكت عنها؟ لم يكن نسيًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكنه سكت عن أشياء.

۞ **قال المؤلف: «رحمة لكم غير نسيانٍ فلا تبحثوا عنها».**

أي: من العلم الذي ينبغي أن تلاحظه ترك التعمق والتنطع الذي لا دليل عليه، حسبك أن تعرف ما فرض الله، وما أوجب الله وما هو من المسنونات وما هو من المبطلات، هذا إذا وفّق الله عَزَّ وَجَلَّ العبد له وعرف الاعتقاد السليم بأدلته هذا من أعلم الناس سيبحث عن أشياء يتكلف أشياء سكت الله عنها، سكت عنها رحمة غير نسيان فلا تبحثوا عنها، فمن العلم ما هو جهل كما سيأتي.

الحديث بعده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى قاعدة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

ﭐلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

❁ **قال المؤلف: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».**

فدل على ترك المنهيات مطلقًا إلا عند الضرورة، كالأكل من الميتة ونحوها، أما الواجبات فإنه يؤتى بها لزامًا حتمًا لكن قد لا يستطيع فيأتي منها بما استطاع.

❁ **قال المؤلف: «فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم».**

كثرة الأسئلة التي لا معنى لها، ولا وجه لها هذه مما ينبغي أن تجتنب في مسلك طالب العلم. وكثرة الاختلاف على الأنبياء وكثرة الآراء والأهواء، وماذا عندك وماذا عندي، هذه ليست من العلم في قليل ولا كثير.

ثم ذكر حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا من حمل حديثه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذه الصورة بأن ينضر الله وجهه:

❁ **قال المؤلف: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفِظها ووعاها، وأداها».**

عمل بالأمور المهمة في ضبط العلم، حفظها، ووعاها فهمها، بعد ذلك ما اقتصر على نفسه أداها أي: إلى غيره.

❁ **قال المؤلف: «فرب حاملِ فقهٍ غير فقيهٍ».**

هذا الصنف الثاني الذي قلناه في الأصناف الثلاثة التي حملت العلم عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد يكون حامل فقه ويذكر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثً، لكن لا يستطيع أن يستنبط به فيكون هو حاملًا للعلم وللخير لكنه غير فقيه.

❁ **قال المؤلف: «ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه».**

ما المزية في أن يحمله ويبلغه غيره أن غيره قد يكون أفقه منه فيعرف الحكم ويستنبطه، فهذا الذي أدى هذا الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعى له بالخير وإن لم يفقهه، بأنه أبلغه إلى من يفقهه، ولو أنه لم يبلغه لكان الذي أفقه منه لم يصله هذا العلم حتى يتفقه فيه، ثم قال: «**ثلاث لا يغل عليهِن قلب**

مسلمٍ»، لا يصيب المسلم غل في هذه الأمور الثلاثة: «**إخلاص العمل لله** عَزَّوَجَلَّ» وأن يبتغي به وجهه، «**والنصيحة للمسلمين**»، بالشفقة عليهم والحرص عليهم، وأن يتمنى لهم كل خير وأن يسعى في ما فيه مصلحة هذه الأمة، «**ولزوم جماعتهم**»، بأن يلتزم الجماعة وما فيها من حال حتى لو كان في هذه الجماعة ما فيها من المنكرات، يلزم هذه الجماعة ويصلح الله تعالى به ما استطاع، ولا ينفرد عن الجماعة لأنه إذا انفرد عن الجماعة فإنه يكون شاقًا العصا عن المسلمين، «**فإن دعوتهم تحيط من وراءهم**». من مزية هذا الدعاء أن الدعاء يشمل الموجودين، فإذا كان في جماعتهم فإن الدعوة تشمله، وإذا انفرد عن الجماعة فإنه قد خرج.

ثم ذكر حديث:

قال المؤلف: «العلم ثلاثٌ».

أي: حتى تتعلمه يا طالب العلم ولا تضع جهدك فيما ليس بعلم ثلاث: «**آيةٌ محكمةٌ**» من كلام الله، «**أو سنةٌ قائمةٌ**» عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، «**أو فريضةٌ عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل**» زائد كما هو حال كثير من الناس ممن أضاعوا أوقاتهم وأضاعوا أعمارهم وجهودهم فيما هو خارج الكتاب والسنة، وفيما هو خارج العلم، فعلموا معلومات كثيرة لكن أكثرها لا ينفع، وجهلوا ما هو أساس وأمر عظيم وأسس كبار كالكتاب والسنة والفقه فيهما وما جاء عن السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأضاعوا أعمارهم كما قال الرازي في آخر كتاب ألفه نادمًا على ما سلف منه من إضاعة وقته في طرائق الفلاسفة والمتكلمين: (ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال)، فتضاع الأعمار في مثل هذه الأقوال وما الذي يحدث إذا علمت أن العلاف والنظام وعمرو بن عبيد قالوا كذا، ومن هم أصلًا؟ مبتدعة ضلال، فالعلم في الرد عليهم وإبطال كلامهم، لا أن يقال العلاف قال كذا وخالفه فلان، من هم؟ ضلال زائغون، فالعلم في أن تتأسس على الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف وأن ترد هذا الباطل لا أن تقول قال فلان كذا، وقال فلان كذا، وهكذا من أضاعوا أوقاتهم بكلام أهل العلمنة والليبرالية ونحوه وصار يعرف أن فلانًا قال كذا، وذاك العلماني قال كذا، تجمع هذه الضلالات ليست علمًا وإنما هي من إضاعة العمر فيما لا نفع فيه، إنما العلم في دحض باطلهم وفق الكتاب والسنة.

ثم جاء التحذير من أن يقول الإنسان في القرآن برأيه، القرآن ليس محلًا للآراء، من تكلم فليتكلم

بعلم وإلا فليصمت، ولهذا جاء فيه هذا الوعيد الكبير من أنه يتبوأ مقعده من النار -عياذًا بالله- إذا هو تكلم بلا علم، هكذا الفتوى -كفانا الله وإياكم شرها- إذا أفتى الإنسان بغير علم فإن الذي أُفتي يكون إثم هذه الفتوى على من أفتى لأنه أفتى بغير علم، إذا استشارك أخوك بمشورة فاحرص أن تنصح له بمشورتك فإن أشرت عليه بأمر تعلم أن الرشد والسداد في خلافه فإنك خائن، تنصح له، وهذا من حقوق المسلم وإذا استنصحك فانصح له، أما أن تقول بل افعل كذا وأنت تعلم أن الحق والرشد والصواب في غيره فوالله إنك لخائن ولست أهلًا لأن تكون ممن يتنصح ويُسئل، ينبغي أن تحرص على أخيك، «**الدين النصيحة**»، قلنا لمن؟ قال: «**لله ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**» فلا تشر على أحد بمشورة حتى لو كانت دنيوية فيها ضرر، انصح له واحرص على أن توصل له الخير ما استطعت.

في الحديث بعده أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الأغلوطاتِ وأن يحرص الإنسان على أن يغلط غيره يسأل أسئلة في نوع من التعقيد والتعسير، ولا يريد بها العلم وإنما يحرص على أن يكون فيها شيء من الإشكال وبث الشبهات في الناس، وحصول الغلط وحصول التردد من قبل الناس.

ثم ذكر الحديث العظيم الذي فيه بشارة لطالب العلم:

۞ **قال المؤلف: «من سلك طريقًا يطلب فيه علما سلك الله به طريقًا إلى الجَنَّةِ».**

الله عَزَّوَجَلَّ التجارة معه لا تبور، أنت سلكت طريقًا دنيويًا يسلك الله بك طريقًا أخرويًا بأن يسلك بك طريقًا إلى الجنة -نسأل الله العظيم من فضله-، أسمى وأعظم من هذا الدرب الذي سلكته، وأخبر أن الملائكة إكرامًا لطالب العلم «**لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع**»، ثم أخبر بفضل العالم الذي هو على السنة ثابت عليها ينشر الحق ويدحض الباطل.

۞ **قال المؤلف: «وإن العالم ليستغفر له من في السَّمٰوات ومن في الأرض».**

وهذه بشارة عظيمة لمن تعلم العلم، وكان من أهل العلم الراسخين أن من في السَّمٰوات من ملائكة الله ومن في الأرض حتى من الدواب فإنها تستغفر له، وهذا فيه دعاء كبير له بالمغفرة كل هذه المخلوقات تدعو له بالمغفرة، قال: «**وإن العالم ليستغفر له من في السَّمٰوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء**»، جاء في بعض الروايات: «**حتى الحوت في البحر، وحتى النملة في جحرها**»، فدل على أن

حتى هذه الحيوانات مسخرات، والمسخرات بما شاء الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى في شأن داود: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ] فسخر الله الجبال والطيور فالأمر لله عَزَّوَجَلَّ، إذا سخر الله تعالى هذه المخلوقات لتستغفر للعالم.

وهذا يدل على أن العالم -والله أعلم- لا يدرك فضله أبدًا أحدا، وأن العلم على الصحيح أفضل ما يتقرب به إلى الله وأنه أفضل من الجهاد؛ لأن هذا الفضل العظيم بحيث تستغفر له هذه المخلوقات حتى ما في الماء من الحيتان، وحتى النملة في جحرها، وحتى وأجل وأفضل وهم الملائكة التي في السَّمٰوات وكذا جميع ما في الأرض هذا يدل على الفضل العظيم جدًا للعالم، والعالم يحرص الإنسان على أن يتعلم ويسأل الله تعالى أن يرفعه بعلمه ويصلح له نيته لعله يومًا من الأيام -كما سيأتي- أن يجعل الله تعالى فيه إمامة في الدين.

۞ **قال المؤلف: «وإن فضل العالمِ على العابِدِ كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».**

السماء مليئة بالكواكب إذا جاء ليلة البدر فإن القمر يكون في فضيلته أشد هذه الكواكب إضاءة، فلا مقارنة بين هذه الكواكب وبين القمر.

۞ **قال المؤلف: «وإن العلماء ورثة الأنبياءِ».**

وهذا الإرث أيضا يدل على أن العلم -والله أعلم- أفضل ما يتقرب به إلى الله؛ لأن أفضل ما يورث ما ورثه النبي قطعًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فماذا ورث الأنبياء؟ ورثهم العلم، قال: «**وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا**» جميع ما للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والأنبياء من الأموال يكون صدقة كما ثبت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في غير ما رواه عدد كبير من الصحابة ﵃ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ما تركنا صدقة**»؛ لأنهم ما جاؤوا لجمع المال عليهم صلاة الله وسلامه، «**وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ**» أعظم الحظ حظ العلم، لكن كما قلنا احرص على أن تتعلم التعلم السليم حتى لا يضيع وقتك في شيء تظنه علمًا وهو ليس من العلم، العلم -كما تقدم- في الكتاب وفي السنة وفي هدي السلف الصالح.

ثم ذكر حديث:

قال المؤلف: «الكلِمة الحكِمة ضالة المؤمنِ».

يبحث عنها.

قال المؤلف: «فحيث وجدها فهو أحق بها».

فلو وجدت الحق في كلام إنسان قد يكون فيه ما فيه من الخلل أو الإشكال فأنت تقبل الحق حتى لو أتاك من غير ذي سُنة؛ لأنك مُميز موفق تعرف الحق من الباطل فإذا أتاك الحق لا ترده، الحق لا يرد حتى لو قاله من ليس على هدى وسنة.

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيّن لك من هو الفقيه، الفقيه درجة عالية جدًا قال: **(الفقيه حق الفقيه)**، الذي يستحق فعلًا أن يقال إنه فقيه: **(من لم يقنطِ الناس من رحمة الله)**؛ لأن التشديد على الناس والتعظيم والمبالغة في الوعيد قد يورث عند الناس قنوطًا من أن يرحمهم الله، وفي الوقت نفسه لم يرخص لهم في معاصي الله، هو نعم لم يشدد عليهم بحيث ييأسوا لكن في الوقت نفسه لا يتلاعب ويسهل عليهم المعاصي، وفي الوقت نفسه لا يؤمنْهم من عذابِ الله، وهذا ماذا يقتضي؟ أن يجعل الإنسان نفسه ودعوته ويحرص أن يربي الناس على أن يكونوا بين الخوف والرجاء، فلا يبالغ في الخوف بحيث يحصل منهم القنوط، ولا يبالغ في الرجاء بحيث يحصل منهم الأمن من مكر الله، بل يكونون بين الخوف وبين الرجاء، ولم يدعِ القرآن رغبة عنه إلى غيره.

- **أعظم العلم قلنا وأزكى العلم في القرآن وفي السنة،** فالفقيه الحق الذي لا يشتغل عن القرآن وعن السنة بغيرهما؛ لأنه يعلم أن الفقه الحقيقي والعلم الحقيقي هو في الكتاب والسنة أصالة، (إنه لا خير في عبادةٍ لا علم فيها)، الذي يريد أن يتعبد على غير علم لا خير في عبادته حتى لو طال صومه وطال قيامه؛ لأنه يخبث.

وقال عمر بن عبد العزيز والحسن البصري رحمهم الله: (من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح)، فلا يظن الظان أن هؤلاء المتعبدين الذين يخبثون أو الذين يدعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ على غير بصيرة أنهم مشكورون، بل هم آثمون مأزورون لأنهم يخبثون خبثًا، والواجب عليهم أن يسألوا، النفر الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسألوا عن عبادته، ماذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرادوا أن يبالغوا في العبادة؟ قال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**» فليس لك أن تتعبد على غير بصيرة، ولا أن

تدعو على غير بصيرة، ولا أن تجاهد في سبيل الله على غير بصيرة، تتعلم أحكام عبادتك ودعوتك والجهاد ثم تنطلق فيها على بصيرة، (ولا علمٍ لا فهم فيه)، إذا كنت تجمع علمًا ولا تفهمه ما تستفيد منه ولا تنتفع (ولا قراءة لا تدبر فيها) بأن يكون حرص الإنسان على أن يقرأ وكفى، يحرص الإنسان ويكابد على أن يتدبر ما يقرأ حتى لو زال عنه التدبر وعزبت عنه أي: مسألة التدبر بأن يشغله الشيطان يحاول أن يعود مرة أخرى لتدبر ما يقرأ.

ثم ذكر عن أن الحسنِ أي: البصري رضي الله عنه ذكر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة**» والحسن قطعًا لم يدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيكون من قبل المرسل.

❁ **قال المؤلف: «باب في قبض العلم».**

كيف يقبض العلم، أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن العلم لا يقبض بأن ينتزع من الصدور، ولكن الله تعالى قضى أن يقبض العلم بقبض أهله من حملته الذين يبلغونه، فإذا لم يجد الناس عالمًا لجئوا إلى الجهال فسألوهم، الجاهل لعدم فهمه وعدم درايته بخطورة المقام يقدم على الفتوى.

❁ **قال المؤلف: «حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا».**

فلأنهم جهال أفتوا وإلا لو كانوا يعقلون لما سئلوا لقالوا: لا نعلم، لكن لأنهم جهال سئلوا فأفتوا بغير علم فماذا حصل؟ ضلوا هم وأضلوا غيرهم.

وهذا حاصل من كل من يدخل في مسائل العلم الشرعي وهو كثير للأسف الشديد الآن وبلا ضابط وبطريقة فوضوية في إعلام، وفي تأليف، وفي أناس يقفون يعظون ويتحدثون بدون ضابط شرعي، حتى تحدث بعلوم الشرع الأطباء والمهندسون وأهل الزراعة وأهل الصيدلة بطريقة فوضوية، هذا لا شك أنه لا يحل ولا يجوز، وأن هؤلاء رؤوس جهال لأن العلم الشرعي يحتاج إلى أن يتعلم وأن يعرف وأن يؤخذ من أهله، وأن يفهم، أما أن يظن أن مسائل الدين كما يقول بعض الناس الدين واضح، الدين واضح لمن تعلمه، الدين واضح في أصل اعتقاده ليس فيه تعقيد، لكن إذا أردت مقام العلم والتوجيه والخطابة والفتوى لا بُدَّ أن تتعلم،أما أن تكون جميع العلوم من طب وهندسة وفلك وزراعة مرعية ولها تخصصات ولا يخوض فيها أحد إلا العلم الشرعي، ألا لأنه أعظم العلوم وأجلها وأكرمها صار كلئًا

مباحًا لكل من هب ودب، لا شك أن واجب أن يوقف هؤلاء المتهورون الذين يخبثون ويتحدثون كما في الحديث: «**تخلف خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون**»، من أمرك أن تقدم على مسائل العلم وعلى مسائل الدين حتى تتحدث به؟ هذا كله من التكلف ومن الخلوف التي تخلف.

❍ **جاءت الأحاديث دالة على أن العلم يقبض،** كالحديث الأول: «**هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقْدِروا منه على شيءٍ**» إن العلم يختلس ويقبض، وهكذا الحديث كيف يذهب العلم لما أخبر عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذا أن العلم يأتي أوان يذهب، قال زياد بن لبيد رضي الله عنه كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ أي: كيف يذهب، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثكِلتك أمك يا زياد!**» وهذه دعوة مما جرت بها عادة العرب، وليس المقصود بها الدعاء عليه، «**إِن كنت لأراك من أفقهِ رجلٍ في المدينة**»، أي: قبل أن تسأل سؤالك هذا، «**أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل**» موجودة عندهم لكن لم ينتفعوا بها، «**لا يعملون بِشيء مما فيهما؟**» عياذًا بالله فهذا مما يقبض به العلم.

ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (عليكم بالعلم قبل أن يقبض)، الباب في قبض العلم، احرص على العلم، لأنه إذا مات حملة العلم قبض كما في الحديث الذي ذكرناه، فاحرص على أن تتعلم العلم، ولا سيما في أوقات نشاطك وأول إقبالك وشبابك وفراغك احرص عليه، وقبضه ذهاب أهلِهِ، (عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إِليه أو يفتقر إلى ما عنده)، احرص على العلم قد تكون أنا شاب عمري عشر سنوات خمس عشرة سنة، تحتاج الأمة إلي وفي الأمة فقهاء وعلماء، أنت ما تدري متى يحتاج إليك، أنت اليوم ابن عشر أو ابن خمس عشرة سنة لكن لاحقًا سيموت هؤلاء العلماء وسيكون ابن العشر وابن الخمس عشرة سيكون ابن ا لأربعين وابن الخمسين -إن أحياه الله-.

❍ **احرص على أن تتعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه،** يحتاج إليك لاحقًا، فإذا احتيج إليك وإذا عندك العلم قد أخذته من أهله فتستمر سلسلة العلم بأن يأخذ المتأخر عن الذي قبله ثم يبثه إلى الذي بعده وهكذا، فعند ذلك لا ينقطع العلم، إنما ينقطع العلم إذا كلّت همم الشباب ولم يأخذوا العم عن أشياخهم فمات الأشياخ وبقي الشباب جهالًا، ثم قال: (وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورِهم)، مثل الخوارج يزعمون أنهم يقومون القرآن، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ:

«**لا يجاوز تراقيهم**»، يزعمون أنهم قائمون بالقرآن، لكن هم أكثر من ينبذ القرآن، وفي مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقرؤون القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم**» هو مما يدل على ما هم فيه من الباطل وهو عليهم، هذا نوع، وأنواع أخرى ممن يزعمون أنهم مستمسكون بالقرآن وهم من أبعد الناس عنه.

ثم قال ابن مسعود: (عليكم بالعلمِ وإياكم والبِدع والتنطع)، اللفظ المعروف: وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع، التنطع والتكلف وإياكم والبدع والضلالات والتعمق أي: يتكلف الإنسان يتنطع يتشدد، عليك بهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن لزمته فما أسعدك، أما أن تريد زيادة على هذا فهذا تنطع منك أنت به آثم، (وعليكم بالعتيقِ) أي: بالقديم، هو الذي كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم ذكر الحديث:

۞ **قال المؤلف**: «**إن الله لا يقبِض العلم انتزاعًا ينتزِعه..الخ**».

وتم شرحه.

ثم جاء حديث:

۞ **قال المؤلف**: «**يوشِك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلامِ إلا اسمه، ولا يبقى من القرآنِ إلا رسمه**».

-عياذًا بالله- بأن تغير الحال، وأن يكون حتى بعض من يتعلمون العلم من أهل الفجور ومن أهل الشر، وهذا علماؤهم شر من تحت أديم السماء ليس علماء السنة قطعًا، وإنما علماء الضلال والبدع.

۞ **قال المؤلف**: «**باب التشديد في طلب العلم للمراء والجدال**

عن كعب بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من طلب العِلم ليجاري بِهِ العلماء أو ليمارِي به السفهاء أو يصرِف به وجوه الناس إليهِ أدخله الله النَّار**» رواه الترمذِي.

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف] رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أبغض الرجالِ إلى الله الألد الخصِم**» متفق

عليهِ.

وعن أبي وائلٍ عن عبد الله ﷺ قال: من طلب العِلم لِأربع دخل النَّار أو نحو هذه الكلمة: ليباهي به العلماء، أو لِيماري به السفهاء، أو لِيصرِف به وجوه الناسِ إليهِ، أو لِيأخذ به من الأمراءِ. رواه الدارِمي.

وعن ابنِ عباسٍ ﷺ قال لقومٍ سمِعهم يتمارون في الدينِ: أما علِمتم أن لله عبادًا أسكتتهم خشية الله من غير صممٍ ولا بَكمٍ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء؛ العلماء بأيامِ الله، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت عقولهم وانكسرتْ قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع المفرطين، وأنهم لأكياس أقوياء، ومع الضالين والخطائِين وإنهم لأبرار برءاء، ألا إنهم لا يستكثِرون له الكثير، ولا يرضون له بالقليلِ، ولا يدِلون عليه بأعمالهم حيث ما لقيتهم مهتمون مشفِقون، وجِلون خائفون. رواه أبو نعيمٍ.

قال الحسن وسمِع قوما يتجادلون: هؤلاءِ قوم ملوا العبادة، وخف عليهِم القول، وقل ورعهم فتكلموا.

باب التجوز في القول وترك التكلف والتنطع

وعن أبي أمامة ﷺ مرفوعا: «**الحياء والعي شعبتانِ من الإيمانِ، والبذاء والبيان شعبتانِ من النفاقِ**» رواه الترمذي.

وعن أبي ثعلبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِن أحبكم إِليَّ وأقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإِن أبغضكم إِليَّ وأبعدكم مني مساوِئكم أخلاقا؛ الثرثارون المتشدقون المتفيهِقون**» رواه البيهقي في «شعبِ الإيمانِ».

والترمذي نحوه عن جابرٍ ﷺ.

وعن سعدِ بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتِهم كما تأكل البقر بألسنتِها**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعا: «**إِن الله يبغِض البليغ من الرجالِ الذي يتخلل بلسانِهِ كما تتخلل البقرة بلسانها**» رواه الترمذي وأبو داود.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تعلم صرف الكلامِ ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبلِ الله منه يوم القيامةِ صرفًا ولا عدلًا**» رواه أبو داود.

وعن عائشة ﵂ قالت: كان كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلًا يفهمه كل من يسمعه، وقالت: كان يحدثنا حديثًا لو عده العاد لأحصاه، وقالت: إنَّه لم يكن يسرد الحديث كسردِكم. روى أبو داود بعضه.

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا رأيتم العبد يعطى زهْدا في الدنيا وقِلة منطق فاقْترِبوا منه، فإنه يلقى الحِكمة**» رواه البيهقِي في «شعبِ الإيمانِ».

وعن بريدة ﵁ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن من البيان سِحرًا، وإن من العلمِ جهلًا، وإن من الشعرِ حِكمًا، وإن من القول عِيالًا**» .

وعن عمرو بن العاص ﵁ أنه قال يومًا وقام رجل فأكثر القول فقال عمرو: لو قصد في قوله لكان خيرًا له سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لقد رأيت أو أمرت أن أتجوز في القولِ؛ فإن الجواز هو خير**» رواهما أبو داود.

آخره والحمد للهِ رب العالمين حمدًا كثيرًا».

جزاه الله خير نبه على حديث قول زياد بن حدير وهذا ما في الباب السابق لم نشرحه أن عمر ﵁ قال له: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: لا، قال: يهدمه هذه الأشياء الثلاثة: زلة العالم؛ لأن العالم إذا زل وأخطأ فليس كالجاهل؛ لهذا فيه التحذير للعالم أن يتفطن ويتنبه، وأيضًا فيه ترغيب للعلماء أن ينبه بعضهم بعضًا لأن زلة العالم يزل بها عالم كثير بعده، وجدال المنافق بالكتاب، أي: يأتي المنافقون ويتعلموا القرآن ليجادلوا به الناس فيحدثون شيئًا من التشكيك والتشويش على عقيدة الناس، وحكم الأئمة المضلين، الأئمة أي: الحكام، الذين هم من أهل الضلال فيحكمون على غير ما أوجب الله عَزَّ وَجَلَّ فيهدم هذا الإسلام.

بعد ذلك ذكر بابًا يتعلق بالتجوز في القول وترك التنطع، وقبله ذكر بابًا يتعلق بالتشديد في طلب العلم للمراء والجدال.

العلم عبادة مثل الصلاة يتعلم لله عَزَّ وَجَلَّ، فمن تعلمه لغير هذه الوجوه فإن الله تعالى يعاقبه؛ لهذا قال:

باب التشديد في طلب العلم للمراء والجدال بأن يكون هدفه من هذا التعلم يجادل ويجلس في جلسات يخوض في مسائل العلم لا يريد صلاح قلبه ولا يريد عملًا، وإنما يريد المجادلة والمنازعة، ومن أكثر ما يوضح هذا هذه الأحوال السافلة الموجودة في وسائل الإعلام، صار العلم عبثًا وصار يدخل فيه من هب ودب وصار موضع مناقشات شككت الناس في مسلمات بسبب هؤلاء المفسدين ولا سيما منهم من أهل النفاق كما قال عمر رضي الله عنه ممن يهدم الإسلام هذا المنافق الذي يتعلم الكتاب ليجادل به.

❁ **قال المؤلف: «قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من طلب العِلم»**.

تقدم الحديث الذي فيه أن من طلب العلم فإن فيه هذا الفضل سلك الله به طريقًا إلى الجنة بعلة قصد الله هذا المقصود، أما إذا سلك العلم لهذه الأهداف الأمر الأول: «**ليجاري بِهِ العلماء** »حتى يجاري العلماء ويأخذ معهم ويعطي يتعلم العلم، «**أو ليمارِي**» أي: يجادل «**به السفهاء، أو يصرِف به وجوه الناس إليهِ**» أي: بأن يشتهر؛ لأن الناس تنصرف وجوههم لا تنصرف إلا لمن كان عنده تميز في دين أو دنيا، في دنيا مثلًا أهل التجارة وأهل الإمارة عادة تنصرف الوجوه إليه إذا مر بأحد ليس بتاجر ولا أمير من أهل الدنيا ما اكترث به ولا انصرف وجوه الناس إليه، الذي تنصرف إليه الوجوه من أهل الدين هو من تعلم العلم، فتنصرف الوجوه إليه وتهتم به، فمن كان قصده أن تنصرف الوجوه إليه وأن تتجه الأنظار إليه وأن يشتهر فإنه ممن والعياذ بالله يدخل النار بسبب ذلك.

وجاء هذا الحديث المخيف:

❁ **قال المؤلف: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه»**.

لا شك أن الأمة كانت على هدى، إذا وقع ضلال في الأمة بعد الهدى وبعد البيان سلط الله عليهم الجدل، فيستمرون في جدال ونقاش، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾.

وجاء الحديث الصحيح:

❁ **قال المؤلف: «إن أبغض الرجالِ إلى الله الألد الخصِم»**.

صاحب المخاصمات والمنازعات والمجادلات لا يظنن أنه محمود عند الله، بل هذا أبغض الرجال إلى الله.

ذكر حديث عبد الله فقال: إذا قال أبي وائلٍ عن عبد الله أي: ابن مسعود رضي الله عنه قال: من طلب العِلم لِأربع دخل النَّار أو نحو هذه الكلمة: ليباهي به العلماء، أو لِيماري به السفهاء، أو لِيصرِف به وجوه الناسِ إليهِ، أو لِيأخذ به من الأمراءِ. تقدمت الثلاث أي طلب العلم حتى يعطيه الأمراء ويأخذ من أموالهم بناء على أنه من أهل العلم فكأنه جعل العلم بضاعة يتاجر بها.

أما حديث ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما هذا الطويل: أما علِمتم أن لله عبادًا أسكتتهم خشية الله هذا ضعيف جدًا فلا نطيل بشرحه.

الحسن سمِع قومًا في المسجد يتجادلون فقال كلمة لفرقد، قال: يا فرقد هؤلاءِ قوم ملوا العبادة، وخف عليهِم القول، القول والمجادلات سهلة، لكن العبادة التي فيها قيام، وفيها صيام، وفيها تعلم علم، هذه تحتاج النفوس أن تكابد فيها، فهؤلاء ملوا من العبادة ورأوا أن الهدر والكلام الفارغ أسهل (وقل ورعهم فتكلموا)، ما أدق هذه الكلمة، قل الورع فتكلموا، خف عليهم القول ولم يعلموا مؤونته وخطورته فتكلموا، والعبادة الحقيقية هم قوم قد ملوها، نسأل الله العافية والسلامة.

الباب الأخير في التجوز في القول، محاولة الإنسان يختصر ويترك عن الإطالة الشديدة وكثرة الكلمات المترادفة، أو التكلف في إطلاق العبارات التي قد لا يفقهها ولا يفهمها كثير من الناس، وترك التكلف والتنطع، ينبغي أن يتجوز في القول وأن يكون الكلام مختصرًا قدر المستطاع، وأن يترك عنه التكلف والبحث عن الكلمات الغريبة، والبحث عن الأشياء التي تجعل الناس يقولون هذا ما تكلم هذا الكلام إلا لأن عنده علمًا، انظر أكثر كلامه لا نعرفه، هذا لأنه عالم الفرق بيننا وبينه كثير، هذا كله من سبيل الشيطان الرجيم.

ولهذا قال:

۞ قال المؤلف: «الحياء والعي شعبتانِ من الإيمانِ».

أي: الإنسان عنده حياء، حتى بعض الأحيان قد يكون عنده شيء من قلة القدرة على التعبير.

۞ قال المؤلف: «والبذاء».

الذي هو عكس الحياء، وقلة الأدب.

۞ **قال المؤلف:** «والبيان».

لكون الإنسان ذا فصاحة في باطله وفي شره «**شعبتانِ من النفاقِ**».

الحديث الآخر:

۞ **قال المؤلف:** «**إن أحبكم إلي وأقربكم مني يوم القيامة**».

ومن كان أقرب للنبي ﷺ كان في الجنة: «**أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مساوِئكم أخلاقا**»؛ من هم؟ قال: «**الثرثارون**» الثرثرة والجدال والكلام الفارغ «**المتشدقون**» أهل التكلف والتنطع «**المتفيهِقون**» وهم المتكبرون.

۞ **قال المؤلف:** « قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتِهم كما تأكل البقر بألسنتِها**».

يوضحه الحديث بعده.

۞ **قال المؤلف:** «**إن الله يبغِض البليغ من الرجالِ**».

أي: عنده بلاغة وقدرة على جلب الناس، ولديه بعض الأحيان يتعلمها تعلمًا كيف يؤثر في السامعين ويأخذون في ذلك دورات، لماذا؟ حتى يجري باطله، «**الذي يتخلل بلسانِهِ كما تتخلل البقرة بلسانها**» البقرة تستعمل لسانها كثيرًا وهو طويل، هذا يتخلل بلسانه كالبقرة، من شدة تكلفه وتنطعه ويحاول أن يأتي بالكلمات التي قد يعجز الناس عن فهمها وإدراكها إلى حد أن بعضهم يكون في موضع فيه عرض لا يجيد اللغة الانجليزية، فيبدأ يتكلم ثم يبدأ يطلق عبارات باللغة الانجليزية، ما هذا التكلف؟ حتى يقول الناس عنده شيء ليس عند أحد، أو يأتي بالكلام الغريب الذي يقل فهمه إلا من قبل المتخصصين المتعمقين في اللغة العربية ثم يلقيه على الناس، يقول الناس هذا رجل عالم علم، لا شك أنه من أعظم الناس علمًا الدليل أنه يقول كلام لا نعرفه، يظنون أن هذا من العلم، هذا تكلف، ولا ينبغي أن يتحدث الإنسان مثل هذه الأساليب؛ لهذا قال:

۞ **قال المؤلف:** «من تعلم صرف الكلامِ ليسبي به قلوب الرجال» هذا مقصده «أو الناس لم يقبلِ الله منه يوم القيامةِ صرفًا ولا عدلًا».

وقالت عائشة ﵂ قالت: كان كلام رسول الله ﷺ فصلًا، كان كلامًا واضحًا فصلًا الفصل فيه يتبين فيه الأمر، يفهمه كل من سمعه، وقالت: كان يحدثنا حديثًا لو عده العاد لأحصاه، لأنه يتكلم كلامًا ﷺ جمع له الكلام واختصر له اختصارًا وأوتي جوامع الكلام صلوات الله وسلامه عليه، إِنَّه لم يكن يسرد الحديث كسردِكم. بالإطالة الكثيرة وبالمبالغات الزائدة ينبغي أن يختصر الإنسان، لكن مثل العلم كما تعلم إذا جمعت السنة كلها تحتاج الإطالة، هذه أحكام في الصيام وأحكام في الحج، لكن إذا أردت أن تبين أمرًا فبينه باختصار ودع عنك الإطالة التي لا يحتاج إليها.

ثم ذكر الحديث أن العبد إذا وفقه الله في الزهد في الدنيا وقلة المنطق وترك المبالغات فإنه قد يلقى الحكمة.

أما حديث:

۞ **قال المؤلف:** «إِن من البيان سِحرًا».

فهذا يراد به المدح ويراد به الذم، فمن استخدم البيان في الحق ونشره فإنه قد استخدمه في موضعه، من استخدمه في الباطل فإنه يذم عليه، وهذا البيان على هذا الحال إن استخدم في الخير فإن صاحبه يسحر القلوب من جهة أنه يقنع الناس بقوة بيانه، فلا حرج عليه إذا أراد الله؛ لأنه قد استعمل هذا البيان في الحق، أما إذا استعمله في الباطل فلا شك أنه مذموم، «**وإن من الشعرِ حِكمًا**»، تلاحظ الشعر فيه شيئًا كثيرة من الحكم، «**وإن من القول عِيالًا**» أي: أن الإنسان قد يعرض كلامه وحديثه على من لا يريده، ولا شأن له؛ إذًا لا تعرض عليه، الناس لا يريدون كلامك، تأتي إليهم في مجالسهم وتلزمهم ولا يريدون هذا الكلام فأنت تعرضه على من لا يريده تريد أن ترفع نفسك عنهم.

وهكذا قول عمرو بن العاص ﵁ فيمن قام وأكثر القول قال: لو قصد في قوله لكان خيرًا له، وذكر أنه ينبغي التجوز في القول.

رحمة الله على الإمام المجدد وغفر الله له وأسكنه الفردوس الأعلى وثبتنا الله وإياكم على السنة.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[١].

ألقيت هذه المجالس من ليلة التاسع إلى السادس عشر
من شهر جمادى الأولى سنة ستة وثلاثين وأربع مئة وألف
في دورة التعليم الميسر بمسجد النخيل،الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.



---

(١) نهاية المجلس الخامس.